عَنزٌ جَدَاريٌّ

موسى نعواشي

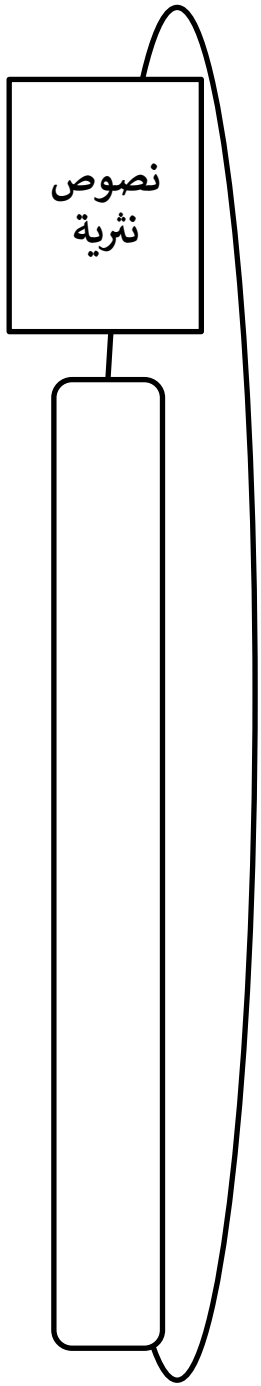

عزف جَداريٌّ

موسى محمد نعواشي

عزفٌ جَداريّ

(نصوص نثرية)

2024

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
المملكة الأردنية الهاشمية
(1347/3/2024)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب: عزف جداري

تأليف : نعواشي، موسى محمد علي

الواصفات: نصوص نثرية \النقد الاجتماعي / الأدب العربي / العصر الحديث الأردن

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك: ISBN (978-9923-0-1021-1)

الطبعة العربية الأولى ٢٠٢٤

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

- **مراجعة. د. إبراهيم الطيَّار.**
- **التنسيق والإعداد الطباعيّ. الرّوائي محمد فتحي المقداد**
- **تصميم الغلاف: الفنان التشكيلي محمد خالد.**

إهداء

إلى من أهمسُ لها دَوماً . . .

جبارا

إني أحبُّك يا وطني

بطاقة شكر

بطاقة شكر
جميلة هي الحكاية .. مذ بدايتها حتى النهاية
بدأت بجمال الوِقفة .. والتربيت على الأكتاف
وانتهت بترانيم عشق
هو الأديب العاشق الذي يكتب للعاشقين
شكراً لصاحب الحكاية
(محمود أبو عواد)
شكراً صالون أبو عواد الأدبي
بحبكم ودعمكم ها نحن نعزف على سُلّم جدارا
وكان عنوان حفلنا " عزف جداري "
موسى نعواشي

تقديم

الأديب محمود أبو عواد

تكبر القامات عند التفرس بها بل يعظم الخيال عند الاقتراب من "حرفها". بين يديك أيها القارئ "عزف جداري"، وهي نصوص نثرية الطابع شاعرية الأحاسيس قدمها "الساحر موسى نعواشي" على طبق من لغة قادرة على التوصيل والتعبير، وموسى صناجة المحافل "عاشق بني كنانة".

إذا قال، بذّ القائلين.

وبه يفخر الأردن كرائد من رواد الحركة الثقافية في هذا البلد الجميل.

مقدمة

كُلما وقفتُ على المَنصةِ مُتَحدِثاً عَن الوَطن، أُرَدِّدُ ما قاله الشَاعرُ حيدر محمود:

على هواكَ اجتمعنا أيها الوطنُ فأنت خافقُنا والروح والبـــدنُ

وإن تعـدَّد فينا لون أعيننـــــا فأنت أجمل لون صاغه الزمنُ

تكادُ كل جوارحي تنطِقُ، أرددها والعيونُ تَرقبني مَذهُولَةً، فلُغةُ المشاعر الصادقة تصل القلوب، هذا الوطن يسكُننا قبل أن نسكُنَه، يا وطناً يمتدُ من النبض إلى النبض ما أروعك، يا وطناً يسكننا عزاً وكرامة، يا وطناً سماؤه أغنيات، وحدوده رايات، وطنٌ يسكنهُ الكبرياءُ، وطنٌ لا يعرف الانحناء، وطنٌ يكبُر بشعبه حين يغني أغنية الوفاء والانتماء.

جاء هذا الكتاب يحملُ في طياته قصص الحُبِّ التي نغنيها له، نقترب منه أكثر، نعانق مجده كي نرسُمَه بصورته الأجمل، نوثق تفاصيله المثيرة، و نطمئن على شامة عزٍّ سكنت على شُباكِ صَدرِه.

لم يكن حبي هوناً ما، بل تطرفت بالحب فالحب بوصلتي إليه، أحبُّه، فتكثرُ سنابل الوفاء عندي، ويحبني، فتخضرُّ سنابلُ العطاء عنده.

هي همهَماتُ المُحبين وصَدى القُبَل، لم يكن حب الوطن شعاراتٍ تُطلق بل نبضاتٌ تُنطق، الحب في بواطنهِ وظواهرهِ يتشابه، و حب الوطن ليس محطة وصولٍ بل محطة انطلاقٍ للمجد والكرامة.

رسالتنا أن يكون المرء صادقاً في حب الوطن، ويعمل قدر استطاعته، ولو بكلمة، وقد سعينا لنُعلِنَ من خلال هذا الكتاب مشاعرنا، والسيرةُ تشفع لصاحبها.

يتضمن هذا الكتاب نصوصاً نثريةً متنوعة فاضت بها المشاعر، ترسم الواقع الذي نعيش .

موسى محمد نعواشي

إضاءة

كتبها: الدكتور إبراهيم علي الطيار

لم تزل الأماكن على مدى الزمان شاهداً حياً ومُدَونةً باقية لساكنيها ومحبيها، ينحت الزمان تاريخه فيها وتسري بين أزقتها طيوف الذكريات مُشَكِّلَةً حالة من العشق والارتباط الأبدي، ركائزه من نسيج يجمع ما بين الماضي والحاضر والواقع والخيال، تُخلِدُ الأشخاص والأحداث وتَخْلُدُ بعدهم كمخزون من الألغاز التي يتفنن القادمون إليها بعد زمن في تفسيرها والكشف عن مكنوناتها المختلفة، تبقى ويسافر عنها كل المتعبين حاملين معهم حقائب من الذكريات التي تجعلهم يبتسمون كلما امتدت أفكارهم وحاولت نبش تلك الحقائب المغلقة، في كل زاوية منها سر لا يعلمه سوى القليل لتروي حجارتها الصماء بلسانٍ طلقٍ ما كان يوماً هنا، وكيف مر العابرون وماذا قالوا وفعلوا، لا يسكت لسان أبوابها عن الإفصاح بالمحبة ولا تبوح أبداً بأسرار تلك البيوت، هي ذاكرة حية تسمع كل شيء ولا تنطق سوى بالجمال.

للمكان سرٌ أبدي ملتصق بثنايا الروح فهو دليلُ عشقٍ وكنايةٌ عن الأمان والحب والنقاء فها هو ابن زريق البغدادي يستودع بغداد المكان قَمَرَهُ الذي أحب راجياً أن لا تعذله على الفراق، أما طرفة بن العبد فقد بكى عندما رأى "بُرقَةَ ثَهمَدِ" لأنها ذكرته بخولة، ويمر قيس بن الملوح على الديار "ديار ليلى" يقبل جدرانها لأنها تذكره بمن أحب، إذ أن حُب المكان هو دليل على عمق الوشائج والذكريات التي ذهبت ومضت وتَبَقَّى منها ما سجله القلب والعقل من لحظات حالمة وثوانٍ

متعبةٍ، فالحب هو الذي يُخلدُ المكان وحب المكان هو معيار الانتماء لأنه يُخلدُ الإنسان ومشاعره.

عازف بامتياز يداعب أوتار القلب ويعزف الألحان بها ليصنع من إيقاع التاريخ وبازلت حجارة جدارا معزوفة دائمة اللحن، يتمم بها رسم صورة التكامل الممتد منذ قدم التاريخ وحتى عصرنا هذا، يُناجي من على روابيها بقايا روما ويرموك خالد بن الوليد وحاميةَ الدولة العثمانية والحاضر الأردني الذي أعاد البهجة لها لترجع كما كانت مدينةً للشعراء والفلاسفة تحتضن الفعاليات الثقافية والسياحية و تحيا بأهلها وزائريها.

عزفٌ يُشجي الفؤاد ويبث الحنين فكله إيقاعُ جَمال وترانيم عاشق يناجي تلك المحبوبة الحاضرة الغائبة، يجعل من ناي الراعي سمفونيةَ بقاءٍ ومن ذكريات الحقول سِفرَ خلود، هو عزف جداري ألهمته تلك المدينة الحاضرة في أم قيس والساكنة في الوجدان الألق، ليكون منارةً للعشق فيها ومنها، تبث الأمل وتُشعُ الوعي والمشاعر، هو عزف جداري يشكل بانوراما ثقافية متعددة المشارب والمصبات يشير بلا أدنى شكٍ إلى تنوّع الحقول الثقافية والمعرفية للأديب موسى النعواشي ذي القدرات المتعددة، كتاب موسوعي ثقافي يشكل لوحةً فسيفسائية من التاريخ والحاضر ومن الواقع والخيال بما يتضمنه من مقطوعات نثرية مختلفة المواضيع والأهداف، يقبل جبين الوطن وجدارا المدينة والذكريات بالحرف والكلمة والنغمة بلغةٍ فصيحةٍ تداعب القلب وتغازل الروح وتحلق بها في أفق السمو والرُقي.

يناجي كتاب "عزفٌ جداري" الوطن والواقع الاجتماعي في كل نص فيه، ويغني للوطن الذي يمتد من النبض إلى النبض، ففي "تساؤل" و "من يجر المحراث" و "لست مريم" و "لن تعود" و "هل هذا أنا" و "أما أنا" ناقش العديد من القضايا الاجتماعية الهامة، ولا ينسى موسى النعواشي غزة ليقول لها "مَعَلش" فلا يَصِحُ إلا الصحيح في النهاية، ويميل في "قال البسطاء هل تعلم" إلى النقد الاجتماعي فيتناول موضوع الانتخابات بأسلوب يناجي المشاعر ويهز أطراف القلب، ويستمر النعواشي بنقد الواقع الاجتماعي في "بنطال أخضر" و"تنوعوا" و "قال الشرفاء" و "بستة دراهم معدودة" و "بانت سوءاتكم" التي تخفونها وتتسترون خلف مسميات مختلفة، فهو قد سجل العديد من المواقف الحياتية المتنوعة بكل مجالاتها السياسية والمجتمعية والثقافية وتحدث بأسلوب الأديب في "أمسية شعرية" عن بعض المواقف التي تلفت الانتباه في واقع العمل الثقافي موجهاً الضوء نحو جدية العمل ونقاء الأهداف.

يعشق موسى النعواشي الجمال في كل شيء فهو يقف "على طرف الحب" ليورق الدحنون بخديها فيرسم ظلهما في انبلاج الصبح، ويقول في المرأة ما يقول ويودع الحبيب الذي رحل فهنا كان يتنفس وهناك مرَّ، فطيف ذلك الحبيب يلازمه أينما حلَّ، وهو ما يزال "يلثغ بحرف السين" بمدلولات هذا الحرف وأسراره، ويخاطب التي "قالت أنا امرأة صالحة" في نقد مستتر لحالة اجتماعية ترافق النساء في العديد من المحافل، ويعبر بلغة الأديب عن مخزون الحب الذي يخبئه للناس

فيشكر الله ولا يمل من وصف ذلك فهو يسكن بين الضلوع ويعيش مع النَفَس فحب الناس هو كوة الأمل التي تبث المحبة والسمو.

في جدارا بدأت موسيقى الحضارة وعَزَفَت بيوتها لحن الخلود، فعاشت بين الجوانح بحجارة تنطق بالجمال وترسم معالم طريق غارقة في التفرد والنشوة، حيث مَثَّلت جدارا لموسى النعواشي فلسفة الجمال ومكنوناته الغارقة في الوجدان، فقد ربط التاريخ والموروث والواقع بنص "جدارا "أم قيس" حكاية الحنين" حيث يدعو فيه للمحافظة على مدينة الجمال والذكريات، ويطوف بقلبه في نصه على كل زوايا أم قيس المحبوبة الخالدة، ويصفها بأنها "حكاية الحنين" التي ترافق القلب والعواطف، ويغنيها بكل الألحان الشعبية والفصيحة متنقلاً ما بين موروث الجدات وحكايا الأمهات وأنين الذكريات، فهو في "طفولة بائسة" يأخذنا في رحلة الزراعة إلى الحصاد ويوثق كيف كان الطفل يتبع والديه في كل خطوة يخطوانها في سهول قراهما يزرعان أرضهما ليعيش أبناؤهما مع كل ما كانت تواجههما من صعوبات إلا أنهما زرعا الرجال كما زرعا الأرض.

ولم يتوقف "عزف جداري" في أم قيس ولكنه أمتد بالحنين والخير إلى كل قرى لواء بني كنانة، فالوطن يمتد من مسقط الرأس ومولد الذكريات ومنبتها حباً وجمالاً إلى كل مكان، فكما كتب موسى النعواشي لجدارا التاريخ وأم قيس الحاضر تغنى بكل قرى لواء بني كنانة، وتغزل في "همس وعزف" بقرى وبلديات لواء بني كنانة ليشكل حالة انتماء ومعيار عشق لكل العاشقين.

موسى النعواشي سوسنة بني كنانة الثقافية كما نُطلِقُ عليه، المخلص المتمرد الذي يشكل علامةً فارقةً ورمزاً ثقافياً مميزاً في لواء بني كنانة، هو حالة شعورية ثقافية عنوانها الانتماء والإخلاص والنقاء والعمل الجاد والأصالة ذات الجذور الضاربة في عمق التاريخ والممتدة نحو الأفق السرمدي، فمن جدارا "مدينة الشعراء والفلاسفة" وإليها يرسم موسى النعواشي خارطة الروح وأبجدية المحبة فهو نديم جدارا وعاشقها يلتصق بها كطين حجارة بيوتها القديمة، يغازل تلك المدينة الضاربة في العراقة ويداعب جدائل القرية التي نشأ وتربى بين أزقتها الضيقة ففي "الحارة الفوقا" يجلس في مقتبل كل شتاء يطرب لعزف حبات المطر التي تتساقط برفق على حجارتها الممزوجة بالحنان.

يراقب شدو المزاريب وهي تقطر بالشهد لتصنع من برد الشتاء ربيعاً دائماً في الأرجاء وعلى كل السفوح والتلال المجاورة، يعزفُ لكل حجرٍ فيها ويهمس لها في كل صباح ويوشوش جدرانها عن ملياغروس وتايكي ويستذكر معها كل اللحظات السالفة، لم يتردد موسى النعواشي أبداً عن تلبية طلب من أراد ولو على حساب جهده ووقته وماله، فقد انغرس بتراب سهول حوران وجرى مجرى سيولها الدافقة بالخير فكان ينبوع خير لكل من عرفه وامتد عبقه في كل الأرجاء.

ولا شك بأن هذا العزف الجداري جميل وجذاب وإن الاستماع إلى نسيج نغماته أجمل وأجمل، حيث أننا في لواء بني كنانة من باب العدل والإنصاف لا نكتب موسى النعواشي فهو الذي يكتبنا بكل مشاعره لأن المكان مزروع في شغاف القلب لديه، فهو الأقرب للجميع

نكتب عنه بعضاً من سيرة الإخلاص وقصة الحنين وصُحبة الوجع والحُلم، وقد حاولت هنا فقط مداعبة بعض أمواج هذا البحر المعرفي والإنساني الثقافي، الذي يتصف بِعُتوِ أمواجه ورأفته الفائقة على من يخوض معه غمار التجربة والإخلاص، هذا البحر الغني الفرات الذي نتمنى جميعاً أن نشبهُ.

جدارا " أم قيس"حكايات الحنين

هي حكايات المارّين من هنا .. مثلما كانوا كنا هنا .. نتمتع بآثار ختمهم .. لنرسم كل يوم ألف صورة مطرزة بالوفاء .. ونهديها للعاشقين.

يقول أرابيوس: أيها المار من هنا .. كما أنت الآن كنت أنا .. وكما أنا الآن ستكون أنت .. فتمتع بالحياة فإنك فانٍ.

عندها يبعثرك الحنين .. ويقتلك الشوق لماض نكهته الفراق .. وإذا ما تجاوزت المناطق السكنية تصحو من غفوتك لتُطِلَّ على سهل واسع ترابه مقدس .. يستقبلك بأحضانه المزروعة بسنابل حبلى .. وتقبل عيناك الأفق .. فتسعد برؤية البانوراما لأجمل مدينة .. وإن كنت مغترباً عنها ولا تختزن الذاكرة إلا اليسير مما كان هنا ..

وسط هذه المشاهد لا بد لك أن تتساءل عن قصص الوجود .. عن تفاصيل إرث مجيد .. عن قصص عاشها السكان .. ممن مضوا ورحلوا وكانوا هنا .. أو ما زالوا ينعمون بجمال الحياة على أرض هذه المدينة الساحرة.

نتحدث لأبنائنا عن الماضي الذي عشناه أو سمعنا .. وكان آباؤنا يروون لنا تراثاً وحكايات مفعمة بالوفاء، والأجداد يقصون الحكاية نفسها .. هي سلسلة من الحكايات متواترة، تروي تفاصيل المكان، وترسم صورة لأجيال عاشت هنا أو مرت من هنا. ذكرياتهم فيها لا تُنسى .. وفي

الذاكرة حنين. حكايات هذه المدينة ربما تعود إلى أول من خطَّت قدمه بساطها .. مذ كانت عذراء إلى يومنا الذي نعيش سعداء على هذه الأرض الطيبة.

نتحدث عن ماض جميل كان .. عن أجيال تركت بصمة للزمان .. نتحدث عن حالنا سكانا منتمين، رمزنا الوفاء والانتماء لرائحة الآباء والأجداد، قال حسن ناجي.

يدافعني العشاق عن طيب لثمها فيقنعني لثتم التذكر لاسمها

جدارا على العهد الذي قد عهدته بآثار ضم مثل آثار ختمها

تبارك من أعطى جمالاً بروعة وزين آفاق المعالي بنجمها

فروحي لنهر عمّد القلب ماؤه فيا طيب أحلامي ويا فضل حلمها

لذا سنكتب الحكايات المعتَّقةَ .. نرصدها من أفواه المحبين هي قصة الارتباط بالمكان .. مهما باعدت الأيام بين الإنسان ومكانه الذي أشغل مساحة قلبه سيبقى معلقاً به.. يقتله الحنين ويبعثره الشوق .. جدارا "أم قيس" .. البيوت العتيقة .. التي صفّ حجارتها المقدسة آباؤنا وأجدادنا بإخلاصهم .. فظلّت متماسكة تحرسها النوايا الطيبة .. كل ما فيها يحمل كل معاني الوفاء .. العيش فيها دافيء .. والحياة في ساحاتها مليئة بالفرح .. كل ما فيها جميل .. وتعشق زواياها نفسي .. هي عنوان التكافل .. ذلك الحوش يضمنا جميعاً .. يوزع عطر المحبة على كل ساكنيه .. تركنا بيوتنا قسراً .. فغادرت أجسادنا .. لكن أرواحنا ما زالت على قدر التعلق .. ولدنا بها .. فكيف ننسى بيتاً طاهراً أبصرنا

النور على زواياه .. عشنا طفولتنا ببساطتها في ساحاته .. وكيف تهجر عقولنا ألعاباً كنا نصنعها بأيدينا على ترابه.

الذاكرة مخزونها وافر بالذكريات الجميلة .. تلك البنورة التي نتدوّر حولها لننسخ درس القراءة .. تلك الدجاجات في حوش الدار كبرت معنا .. فلا ننام إلا بعد أن نطمئن عليها آمنة في مكانها الذي تبيت فيه بنته أمي بيديها المباركتين. تلك اللمة حينما نجتمع أسرة واحدة على العشاء .. لا نهنأ بلقمة وفينا غائب.

تلك الليالي الرمضانية المليئة بالإيمان الصادق .. فصلاة التراويح في مسجدنا القديم لها قيمة أخرى .. تلك المضافات التي يؤمها الرجال ليحلّوا بفنجان قهوتها مشاكل نهارهم .. كل من ولد في جدارا يتمنى العودة إليها .. الشتاء فيها مختلف .. رائحة ترابها المبلل بحبات المطر .. شتاؤها شدو المزاريب وموسيقى الدلف صيفها يعني لنا البيدر.. وبركة الله .. خريفها موسيقى أوراق الشجر .. ربيعها سجادة صلاة .. وعندما رحلنا عنها انهمرت الدموع .. فالروح معلقة بها .. كنا كطفل انتزعوه من حضن أمه .. لذا .. سنبقى نتغنّى بها .. وكل تراويدنا*[1] على مساءاتها .. كل جميل تركناه فيها .. كل أعراسنا كانت هناك .. وظلّت .. تركناها فتوقف النفس .. لا نستطيع الصوم فندفع كفارة .. نصلي جالسين .. نتيمم بالتراب لأن ماءً غير مائها يضرنا .. واليوم .. ليس لنا

[1] التراويد: مفردها ترويدة، وهي نوع من الغناء البطيء يُؤدّى من غير مرافقة للموسيقا، وبشكل جماعي.

إلا أن نقف على أطلالها .. ونتغنّى بماض لن يعود .. وربما بجهود المخلصين سيعود.

جدارا يمّه .. جدارا يمّـــــــه

بدي من حجارك يا يمّه ظمّه

لدعي عليهـــــــم تبلاهم حمّى

لليتموك بعمى لعيـــــــونا

هَمسٌ وعَزفٌ لقرى بني كنانة

الحَمَّة الأردنية .. حكايتها تختصرُ عشق السماء للماء وماؤها دواء وترابها حناء، تعانق فيها أسطورة الصخر الذي يقف حارساً لشمسها.

المخيبة التحتا.. بلدة تلامس أصابعها تراب فلسطين، تعيش لحظة حلم اللقاء، تستقبلك بخضرة أشجارها، وزغاريد شلالاتها.

أم قيس .. كتاب كل صفحاته غناء، تسمع همس حجارتها وهي تتلو عليك أشعار أرابيوس، عصية على النسيان، في دروبها حكايات المسافرين.

المنصورة .. بلدة توزع حبها لملكا وأم قيس، وتقتبس من كل منهما حكاية العابرين، هي بوابة أم قيس، ومفتاح ملكا، لكنها ما زالت تحتفظ باسمها منصورة.

ملكا .. بلدة سهلها عباءةُ عزٍ، وصخورها أوتاد الكرامة، كلما انخفضت ارتفعت، تحفظ القرآن غيباً وبرتله ترابها إيماناً ومحبة.

حاتم .. بلدة تغازل الوديان، وتسقي كل ناسها ماءها صافياً، تزهو بمراعيها، وبساتينها، وما زالت مطرزة ارضها بالأقحوان.

إبدر .. بلدة لا يهمها التنوين والضم، فهي أبدر لأنها تصحو قبل الشمس لتستقبل نورها، وهي أُبدر لتبدأ عملية الزراعه، إذن بها يبدأ النهار ومنها يبدأ البذار.

المزيريب .. بلدة لم تهاجر موطنها في سما، لكنها حاولت أن تُسرع الخطو نحو الغرب لجلب المطر لأختها سما الروسان، بلدة ودودة، وعاشقة لتربتها.

سما الروسان .. آه يا سما بلدة لم تختبىء في واديها، لكنها وازنت بين الجبل والوادي لتعطي كل أرض حقها، واديها بساط وجبلها وعاء المطر.

عزريت ... بلدة لم تغادر مكانها، لكنها تعرف كل جاراتها تُرسل لكل بلدة حصتها من الماء ، ومن نور شمسها، وهي واسطة العقد بين السرو والكفارات.

حبراص .. بلدة تستقبلك عند دخولك بوابة الكفارات بزينتها، واشجارها، تقف على الطريق تحرس هدوء حرثا، وصلاة الرفيد، وتنادي على عقربا اشتقت لجبالها.

كفرسوم.. يا بلد الأبطال .. إذا أردت أن تتذوق الرمان فعليك أن تزور بساتينها، بلدة أعطت ساحاتها فرح الدبكات، وما زالت تحتفظ بزغاريد الأمهات.

يبلا .. مرت عليها العصور وبقيت بصمةً للتاريخ لم تَبلى، بلدة ما فيها يدل عليها، هدوء زرعها، بساطة عيشها، وتدفق مائها.

الرفيد .. بلدة زاوجت بين الأجراس والمآذن، فرفعت الآذان من كنيستها، ودقت مآذنها الأجراس، كل من زارها أحبها، وكل من غادرها اشتاق العودة إليها.

حرثا .. بلدة لها من ظل عقربا ما يحميها من حر الشمس، ولها من سهلها ما يمنحها نسيماً عليلاً، تُغازل حبراص لأنها بوابتها، وتحنُّ كثيراً إلى الرفيد.

عقربا .. بلدة تُطل على فلسطين وسوريا وترفع راية الأردن عالية لتمنح هواء سوريا وفلسطين الفرصة لمشاركتها في رفرفة هذه الراية العربية.

سمر .. هي وطن المحبين، لم تفارق البسمة ترابها، تعلو زغاريد زيتونها عند القطاف، ويحلو لبيادرها غناء الدلعونا، بلدة كل ما فيها يقول لك أهلاً.

سحم .. لم تبعد عن سمر ولم تقترب من حدود فلسطين، بلدة بقيت وفيَّةً لمن سبقها في المسافة ومن تأخر عنها، بلدة بارك الله زيتونها.

حريما .. بلدة يا إلهي ما أقربها إلى القلب، تحبها قبل أن تصل إليها، وتحبها حين تطول بك الإقامة بها، لك أن تُغني لها فهي تحب الغناء.

خرجا ..بلدة تباهي بسهلها الواسع الذي يسرُّ استقبال القادمين، أرضها تتباهي بخيمة السماء التي تمنحها نورها ومطرها ودفء شمسها.

الزَوية .. تعبق زواياها برائحة الرجولة .. يعشق رجالها الأعالي .. تملأ قواميسهم لغة الواثقين .. لم تبق في زمنها بل انطلقت لتكون منارة يهتدى بها.

القصفة.. بلدة جاورت حريما والسيلة؛ فكانت خير من يكتم سر بهجة حريما، وجمال السيلة، حتى أصبحت حضناً دافئاً للبلدتين.

السيلة .. كم يحلو لها مغازلة جارتها القصفة، وكم تشتاق لأقدام الزائرين، هي بوابة من بوابات الفتح أيام خالد بن الوليد، وما زالت تذكر تاريخه.

الخريبة.. هل فكرت بزيارتها؟ إذاً سارع إلى الإقامة بها، فهي بلدة لم تبرد قهوتها، ولم تنطفئ نارها، ستقول لك حكايات لم تسمعها من قبل عن عشق فلاحها للأرض.

اليرموك (قرقوش) بلدة تسمع فيها صهيل خيل خالد بن الوليد وتهاليل فرسانه، بلدة ترى فيها الراية العربية الإسلامية، بلدة تشعر فيها بالزهو والعز والكرامة.

برشتا .. طرزت عباءتها بسنابل القمح .. زينت أكمامها بأوراق الزيتون .. وعطرتها برائحة زيت كفاري .. بيادرها معبد للفلاحين المخلصين.. تراويدها يتباهى بها المنجل.

هذه هي بني كنانة .. بناسها الطيبين

بزيتونها .. برمانها .. بلوزها .. بجو افتها .. بسنابل قمحها .. ببيادرها.. بجغر افيتها .. بتاريخها وحضاراتها ..

بانوراما بني كنانة

ونبدأ بترنيمة للشاعر الدكتور إبراهيم الطيار :

رسمَ الفُؤَادُ عَلَى ثَرَاكِ مَسَـــــارا وَانْسَابَ نَبْضِيَ فِي الْهَوَى أَشْعَارا

شوقٌ تَبَدَّى للعَيـــــــانِ مُبَعثَرا مَا بينَ تَلَّةِ خَالِـــــــــدٍ... وجَدَارا

بني كنانة بقعة خضراء جميلة من الوطن الغالي الجميل، يقع في الجزء الشمالي الغربي لمحافظة إربد، في شماله الحدود السورية، وفي غربه فلسطين، تبلغ مساحته 247 كيلو متر مربع، وعدد سكانه يقارب 111507 ألف نسمة، يتوزعون على خمسة وثلاثين تجمع سكاني، يشاركهم العيش ما يقارب 18000 ألف لاجيء سوري.

لواء بني كنانة امتداد لتضاريس ثلاثة، سهل وجبل وغور، أراضيه خصبة ولادة، زيتونه مبارك، زيته يكاد يضيء، سنابل القمح فيه حبلى، الجلنار فيه عاشق، قثاؤه دواء، دحنونه للعيون ارتواء، كل أصناف الورود تسكنه، ليله تفوح منه رائحة الزعتر.

في جدارا أم قيس تناديك حكمة أرابيوس: "أيها المار من هنا، كما أنت الآن كنت أنا، وكما أنا الآن ستكون أنت، فتمتع بالحياة لأنك فان".

في حرثا، قويلبه، إيبلا، رافانا، آبل الزيت، وقنديل روما، يستهويك الحديث عن ذاكرة تعبق بها رائحة عصور خَلَتْ.

وفي الشعلة نقف وقفة عز وفخار، لنحدث الناس عن خالد واليرموك، وتبقى شعلة الحق بنورها الوهاج.

بني كنانة، اسم نقش بحروف مباركة على جدران قلوبنا، العشق فينا عشعش، والعاشق يعطي ولا ينتظر الجزاء.

نعشق السهل والوادي، نعشق الجبل، نعشق الدحنون والزعتر، نعشق الرمان والجوافة، نعشق اللوز والزيتون والشومر.

نعشق بني كنانة وناسها الطيبين، حملنا الهم، طوّعنا الوقت، شمّرنا عن السواعد، لنترك بصمة فتبقى راسخة لأجيال تخلفنا.

بني كنانة خمس بلديات، العهد بينها الوفاء:

بلدية خالد بن الوليد:

سابقت المدن في الدخول إلى التاريخ، فقد كانت شاهدة على أكثر من عصر، وهي اليوم حارسة أحداثه، على أرضها لم تزل بصمات الرومان واليونان والمسلمين، تصافح جبالها فلسطين وسوريا، حجارتها سطور، ترابها بخور، وماؤها طهور. تضم تحت جناحيها الحمة الأردنية والمخيبة التحتا وأم قيس والمنصورة وملكا.

بلدية السرو:

بسطت تربتها سجادة لصلاة الربيع، ومنحت مرآة دحنونها للسماء، تحب الغناء، فسكنتها العصافير، سهلة حين تزورها، كل ما فيها يشدو للقادمين أهلاً وسهلاً، إنها تحرس عطر ورودها.

تضم تحت جناحيها: حاتم وإبدر والمزيريب وعزريت وسما الروسان.

بلدية الكفارات:

أقرب ما تكون للسماء، من السهل مصالحتها، فهي تستجيب لصادق الدعاء، تزهو بطيب ثمار أشجارها، ويحلو لها صيفاً أن تقدم لزائريها ظلالها، تتوسط ما جاورها من المناطق مثل طفل يلوذ بحضن أمه وهو يغني. تنام في حضنها حرثا وحبراص وكفرسوم ويبلا والرفيد وعقربا وبرشتا واليرموك.

بلدية الشعلة:

هي شال من الزعتر، تفاخر بزيتونها الذي أقسم به الله تعالى، ونفاخر بها كمنبع الجمال البهي، هواؤها معطر، تربتها بيدر، سهلها عنبر، كل ما زرتها عدت إليها بكامل حنينك إلى فضاء يتسع للغناء والدعاء، إنها لغة الأوفياء. في حضنها تغفو سمر وسحم والعشة والشعلة.

بلدية اليرموك:

هل جاءتك أحاديث الرواة من عهد الغابرين؟ إنها الصوت والصدى، ما زالت تحتفظ بما تيسر من أصوات المكبرين والمهللين، لم تنس تاريخها، فعلى تربتها آثار من مروا لكتابة التاريخ، وعلى صخورها بصمات حوافر خيولهم، وحدها تستقبل شمس الصباح بابتسامتها.

في حضنها حريما وخرجا والزوية وأبو اللوقس والقصفة والسيلة والخريبة. إنها بني كنانة، وأهلها كنانيون يعشقون الورد لكن يعشون الأرض أكثر.

وقُلتُ عن المرأة

عندما يتعلق الأمر بالمرأة يعني المشاعر، ربما أصدح دائماً بأني لا أريد المرأة التي أحبها ولا تحبني، ولا المرأة التي تحبني ولا أحبها، أريد المرأة التي تحبني وأحبها، وكيف السبيل إلى ذلك دلني؟ ما زلت في حسرتي والآهات سهام في صدري.

مضت السنون، وطار غراب الرأس، وما زلنا ننتظر على قارعة الطريق. صرت أفتش في قواميس اللغة هل للحب مكان، ما زلت أقلب الصفحات لأبحث عن بقية أمل، ثم أيقنت أن الحب بين رجل وامرأة لم يأت إلا في موطن الحرام كما ورد في سورة يوسف: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ﴿٣٠ يوسف﴾.

وزاد يقيني بأن المودة والاحترام سبيلان لبقاء جمال الحياة بينهما.

زالت الغُمَّةُ وبان الصبح، صار الأمل يراودني لأكمل الحياة، وكأني عثرت على كوة الأمل.

جدارا وفلسفة الجمال

الجمال كله هنا، في جدارا أم قيس، عندما تكون على هذه الربوة المطلة على طبريا والجولان وصفد والناصرة وجبل التجلي في فلسطين، وجبل الشيخ في لبنان، هذه الطبيعة الخلابة التي تتزين بها أم قيس، هذه المدينة التي تعاقبت عليها الحضارات وتتعاقب عليها الفصول، لا بد أن يزين جمالها حياتنا، فالجمال كله هنا، لذا نتمايل طرباً وفرحاً، ويغمرنا الأدب.

وكل من مر من هنا يغمزه الشعر فيكتب عن جمال جدارا أم قيس، كيف لا وقد وصف ميلياغروس شاعر جدارا في ديوانه الإكليل نبضات الشاعر عندما يغمزه الجمال:

إذا كان هذا المرج قد أزهر

والشجر ازدان بالأوراق

إذا كانت النحلة تصنع عسلها

والعصفور يشدو بأغنيته

فكيف بوسع الشاعر أن يسكت

لذا كانت جدارا أم قيس محجاً للشعراء، ولم ندع شاعراً ليشاركنا الجمال إلا ولبى فرحاً، وكتب عن جمالها وروعتها.

ويكفي أنموذجاً للشعراء ما قاله الشاعر تركي عبدالغني في قصيدته "الطريق إلى جدارا" التي أسميناها وفاءً معلقة جدارا:

غادرت رأسي وَ انْحَدَرْتُ يَســـــارا أَتَفَقَّدُ الخَفَـــــــقانَ داراً.. دارا

هي مرة أخـــــــرى.. وتكفي مرة لأحِـــــــسَ أَنّي قد خُلِقْتُ مِرارا

ولأنني المملـوء نحوك أعيـــــناً ولأنَّـكِ ... الأغلـــــى عَلَيَّ مَزارا

أحْنَيْتِ لي الأســـوار حتى لا يُظَنَّ بأنني ..... أتســلق الأســـــــوارا

ووَقَفْتُ كي لا أَجْفِلَ الأبـــواب إذْ هدأ الثــرى.. حتى مشيت.. فثارا

فبرغم أمْرِ الشـــــوق.. إلا أنني آت إليــكِ مُخَيَّـــــراً.. مُختارا

خمسون ألف مدينة .. راودتـــني عن مهجتي.. فتَرَكْتُهُنَّ عَـــــذارى

يا خمرة، والله لا يقــوى علـــــى إدراكها مَنْ لم يكن خَمـــــــارا

و أبَيْتِ إلا أن تكونـــي كأســـها فأتاك حُجَّاجُ الجَمـــــالِ سُكارى

وكَمُهْجَـــتي في الحُـــبِّ، قَهْوَتُكِ الصبوح جموحَةً، لا تَكْتُمُ الأسرارا

لولا القرى، والنار لا تجفو البيوت لقيل أهلـــك يعبدون النـــــارا

لا مِثْلُ كل الناس.. حتى أنهـــــم في أَم قَيْـسٍ .. يولدون كبـــــارا

هي مسقط الرأس، مشاعرنا مرتبطة بالمكان، نشتاقها عندما نغادرها، نشتاقها ونحن بين أزقتها، فيها الحنين والحنان، هي الجميلة التي نعشق، لذا، تعودنا أن نرسمها كل صباح ألف صورة ونهديها

للعاشقين، نرسم الصورة الأجمل، نرتب ظفائرها، نزينها بالدحنون، نعطرها بالزعتر، فتبقى راسخة في ذاكرة من يؤمها ليعود إليها مشتاقاً.

جدارا أم قيس هي الاستثناء، كل نساء العالم تتشابه إلا أم قيس، فهي التي تتفرد بجمالها، بجدائلها، بكحلها، برسمها، هكذا هي بعيون محبيها، نحمل السيف والقلم دفاعاً عن الحبيبة، ركبنا الخيل لتبقى جدارا الحصن المنيع.

نستذكر حكاياتنا من هذه القرية العتيقة، فهي الملهمة لكل كاتب وشاعر، لن نجامل في الحب، وكيف تكون حبيباً ولا تصدقك مشاعرك؟ وكيف تكون جدارياً ولا تحب؟ هنا لا عبثية، من أراد أن يعبث فليكن خارج أسوارها.

كنت أظنك امرأة زكية

كنت أظنك امرأة زكية

حتى تلمست منك الترائب

ما لي أراك تجرين المصائب

ويكفي قولهم نائبة

وفي الجمع النوائب

ما لي أراك تبدين الذوائب

ما بال لسانك تعوّد السبائب

ويحَ قلبي

قد شاب مني

وشابت مني الذوائب

***

كنت أظنك امرأة زكية

مالي أرى قلبك

مذ رمى الأقرع

سهم عينيه

قد خف وطار

أتظنين بأني تيس مستعار

جيء بي لدفع الضرائب

لستُ للبيع يا سيدتي

لن أخلع لك بعد اليوم قبعتي

حبل الوداد قطّعته

وقطّعت كل أوردتي

ستنبت أوردة أخرى

لا تقربها الشوائب

***

ستعودين حتماً ستعودين

قلتها يوماً ولو بعد حين

مسكينة يا أنت

ماذا لو تجدين

أن قلبي قد حزم الحقائب

قد طاب له السفر

أتظنين أنه غفر

لا غفران لطاغية

عودي إليه

أنا لن أعود إليه

أنا لن أعود إليك

فقلبي من الخذلان خائب

قال الشرفاء هل تدري ..؟

قلت نعم إني أدري

وأكثر منكم أدري

بشمّ جدائلها أدري

بفك ظفائرها أدري

***

دققتُ جميع أجراسي

لملمت بقايا أنفاسي

أتحسس ماسة الماء

صمدت ما بين

النحر والصدر

كنتُ أظنني أدري

حين يظمها صدري

صدري بيدر فلاح

يداعبها كل صباح

مسكين أنت يا صدري

فرِحٌ بكفٍّ من عدسٍ

وتظن نفسك تدري

عواذرك لم تحرس عبلة

قفزت من فوقها الهبلة

حفرت في كوم الجار لها بيتاً

وشعر صدرك يتماوج

يقابله ثور هائج

الرعشة هناك تؤرقهُ

وصدى القبلات يحرقهُ

قد عاد صدرك أمرد

عطِشٌ بورٌ أجرد

وقضت وطرها

واكتوت بغيرها

وجاءت تتوسل

من فوق العواذر العالية

بعفّتها البالية

بيدرنا منبتهُ طُهرٌ

سنابله ليست عهرٌ

قد طرح الرزاق البركة

ودبّت في النمل الحركة

بيدرها مأوى الفئران

والحَبُّ في بطن الجرذان

والآن أنا حقاً أدري

وكذا هِيْ بحقيقتها تدري

***

اعزفي الآن يا سيدة

على أنغام عوده

واشهقي حزناً لوعوده

كنتِ يا سيدةُ بحقيقتي أدرى

أنا الذي بنعومتك أحرى

قد جعل بحره لك مقثاة*[2]

وكنتِ لِشبابهِ ملهاة

وغرتك الصلعة البلهاء

جعلتُك أميرة

واخترتِ قطيع الدهماء

آهٍ يا سيدة لو تدرين ما بصدري

آهٍ لو تدري

آهٍ لو تدري

[2] الاسم الشعبي للأرض التي تزرع بها الخضار الصيفية.

تنوعوا .. تنوعوا

تنوعوا كيفما شئتم تنوعوا

فهذه الأرض ليست لنا

قد باعها الأجداد

بثمنٍ بخس

نوعوا ثقافاتكم

اطردونا من منابركم

فأقوالي المليحة

لا تطربكم

ربما تطربكم نغمة العشيرة

نغمة الخوف من العشيرة

سأجمع أطراف العشيرة

من بلادي

من فلسطين

من مصر الحبيبة

لتعترفوا

بأني ابن عشيرة

لا ضير

سأصير مثلكم

وفي حر الشوب

سأشرب مثلكم الرايب*[3]

وأولول على من

ليس له قرايب ..

[3] اللبن الخاثر (الزبادي).

على طَرَف الحُب

وقفت على طرف الحب ..

ورجْعُ الصدى ببحة عطشى يقول: دعني أعيشك ..

فصاح القوم: أَحبها

نعم أحبها وهام بها

نادى وآهاته تلوح لقلبها ..

فتح قلبها ذراعيه غير آبه بمن حوله لتضمه ضمة عاشقة ..

كتمت عشقها .. وانبلج الصبح القريب ..

بدأ الدحنون يورق بخديها ..

شاهداً على نبضات قلبها ..

صار الناس يتساءلون عن شبه بينهما ..

وقف العارف وقال: خلقا لبعضهما ..

تشمه فتتسع رئتاها ..

يشمها فلا يرى إلاّ هاوٍ لها

ينظران بعضهما فيتبادلان لون العيون .. آمن الناس بهما ..

وصاروا يغنون:

لو مرّ سيف بينهما .. لم نكن نعلم هل أجرى دمها أم دمه ..

وصارت كل باحثة عن الحب تبحث عن سيف تقتلها أو تقتله ..

وكل باحث عن نواقصه يبحث عن ماهية الحب الذي خذله ..

وقفنا في منتصف الحب نشبه بعضنا .. نرسم بالدحنون ظلنا ..

نرسم قلباً أحمر علّنا نقول للعالمين بأنا على قدر التعلق إننا ..

فبهت الذي كفر.

قال البُسطاءُ هل تعلم

قال البُسطاءُ هل تعلم

قلت نعم إني أعلم

وجوارحكم أيضاً تعلم

ومشاعركم أيضاً تعلم

إني أكثر منكم أعلم

أن العهر شريعتهم

أعلم أن الخبث طريقتهم

بكل نجاستهم أعلم

بعهر سياستهم أعلم

لكني حقاً لا أعلم

عن نبع سليلتهم

هل حقاً هذي ديرتهم

كل منهم جاء ويلهث

يأتي للكومة كي يلهف

يأتي بالرأي القانوني

حتى منهم جُنّ جنوني

يفهم لكن بطريقته

يزني لكن بسريرته

هل أنت بحق تعلم

أعلم ونعم أعلم

النواب حكايتهم أخرى

نواب لكن بالسُّخرة

قلنا لا أهلاً بالسادة

خبأنا قهوتنا السادة

هل تعلم حجم خيانتهم

قلت نعم إني أعلم

والله نعم إني أعلم

أما الإعلام فلا تسأل

يحمل بشكيراً مبتلاً

ها قد بانت سوأته

فسحل وانكشفت عورته

قال البسطاء هل تعلم

قلت نعم إني أعلم

ملعون من أكل السحتَ

إن جعتُ أنا أو إن جعتَ

ملعون من أكل اللقمة

لقمة أولادي هي النقمة

لا تأخذ حقاً من غيرك

ستكون وحيداً في قبرك

من علمنا هو قدوتنا

مكتوب ذاك بشرعتنا

هل تعلم أنك لا تقدر

مهما جهزت فلن تقدر

جهز أخبارك لن تقدر

حشِّد إعلامك لن تقدر

جيِّش نوابك لن تقدر

نقسم بالله فلن تقدر

نقسم بالله فلن تقدر

مَعَلشْ

في غزة يولدون كباراً

لا طفل هناك تناغيه

شاخ الطفل وفيه ما فيه

لك يا بن غزة ربٌّ تناجيه

***

الأم تستر عورتها

تسأل جارتها

هل باتت في العراء

هل سقط الصاروخ

على بيتها

من بقي من أبنائها

على قيد الحياة

تحبس دمعتها وتقول:

معلش

في غزة يولدون كبارا

ابن غزة صابرٌ رغم المحن

صبور لم نسمعه يوماً يئن

وقد ...

قلبوا له ظهر المجن

قصفوا بيته

ورحمة الله تنجيه

بات في العراء

لم يجدوا له الدواء

لم يعثروا على نقطة ماء

قميصه قُدّ من قُبُل

تلطخ بالدماء

لن ترهبه ألوان الدماء

يعصر قميصه ويقول:

معلش

في غزة يولدون كبارا

يرى الطفل أمه ممدودة

يسكن معها تحت الركام

على صدرها جثم حجر

تحت الركام رائحة الضجر

ترفع سبابتها

يسمع سبابتها تقول:

أحدٌ أحد

لا أحد يسمعهما لا أحد

اغتالوا أمه ونصفه وألعابه

من تحت الركام يقول:

معلش

في غزة يولدون كبارا

كيف أنت يا جعفر

هل ما زلت عندما تغضب

تشخر

هل ما زلت شقياً كما أنت

أم كبرت وارتطم رأسك بالحنت*[4]

لِمَ أسأل..؟

وفي غزة يولدون كبارا

يتركني مهرولاً جعفر

وقبل أن يتركني

ينظر صوب الأقصى

ويشخر

بقميصه يلملم أشلاء أخيه الأكبر

ويصيح: الله أكبر الله أكبر

ثم بهيبة الصابر يقول:

معلش

[4] الحنت: حجر مستطيل الشكل، يعتلي الباب المبني من الحجر.

في غزة يولدون كبارا

في غزة طفلة تقول:

أبي نال الشهادة

فرح عند ربي بالشهادة

كان يلمنا .. يجمعنا

ويكثر التمني

ولأني أصغر من في البيت لأني

كنت أظنها عملاً .. ترقية .. ولادة

وبلهجة الغزي اليوم تقول:

نال أبي ما أرادة

(فرحون اليوم باستشهادَه)

***

في غزة يولدون كباراً

في غزة هناك وائل

لا يسكت عن الكلام

في النهار في الليل لا ينام

على الهواء كلموه

على الهواء فجعوه

سكت عن الكلام ساعة

قبّل أبناءه

لفَّهم بالأبيض

ودعهم .. وعاود الكلام

فكلام وائل غير كل الكلام

كلامنا للثرثرة

وكلام وائل يكشف ابن الحرام

قال وائل:

معلش

في غزة يولدون كبارا

في وداعِ حبيبٍ رحل

كما الخنساء أقول:

فأقسمت لا ينفكّ دمعي وعولتي

عليك بحزن ما دعا الله داعية

تركنا ورحل ..

كان يزيل عنا شكايتنا

يمسح آلامنا ..

دعوني أقول .. وأقول

فقد قتلنا الأسى

أشعر وأنا أمامكم

بأني أعظم الناس مصيبة

إن الحزن في صدورنا صادق

كدنا نهيم على وجوهنا

ارتفع نشيجنا

ثارت الأشجان فينا

جرت الدموع في مآقينا.

هنا كان يتنفس

هنا .. كان الأمل يدغدغ خدود بلادي

لكنه رحل

أفلت شمسه

توقَّف النَّفَس

صُكّت كُوّة الأمل

تكويني دمعة الفراق حرّى

أشم رائحة الفراق ما حييت

يا صاحب الهيبة

رحلت عنا

وبقيت في ذاكرتنا الهيبة

تناقص الرجال برحيلك

أيها البار حقاً

إنا لا نطيق صبراً

سألت الأسى بعدك والصبرَ

أجاب الأسى طوعاً ولم يجب الصبر

كان قلبك يتسع للجميع

وأحبك الجميع

والجميع ودّعك

إني أخالكم تقولون:

إن الروح التي تملكها نقية

والكلمة التي تقولها ندية

عندما يحدثنا الناس عنك.. نشهد

وعندما يحدثنا عنك أصدقاؤك.. نشهد

وعندما تحدثنا عنك سيرتك.. نشهد

وعندما يحدثنا عنك صوتك.. نشهد

وعندما تحدثنا عنك بلادي.. نشهد

وكلهم يشهدون نبلك ..

أخلاقك ..

دفء مشاعرك ..

بِرّك ..

حسنك ..

روعتك ..

رجولتك

قالوا: رحل الطيّب

وبقيت الذكرى .. والطيبة

نم أيها الكبير

فالألسن تعجّ بالدعاء

نم أيها القدوة

موقناً بأنا على الدرب سائرون ..

ها نحن نردد قول الشاعر تركي عبدالغني:

عيناك لفهما الجمال بكفه

أواه ما أقسى الممات عليهما

فإلام أنظر بعد وجهك

إنَّ لي عينين

مذ فارقت لم أحْتَجْهُما

أيها الحبيب: يلازمني طيفك .. أراك في كل زاوية

أتمنى ألا تغادرني ..

فكل جميل مزروع فيك

كم تمنينا أن نشبهك .. بأخلاقك

بنبلك .. بابتسامتك .. بروعتك ..

بأناقتك .. بمخملية صوتك

رحلت عنا .. وسنبقى نطاول النجوم

لعلنا يوماً نشبهك

مرت الأيام .. وهرولت ..

وخفت النور .. وخفت النور

وانطفأ السراج ..

وقلت: وداعاً .. وداعاً حبيبي

سمعتها تهدهد هناك:

(نامي يا عيني نامي

حبيبي راح وخلاني

راح وخلاني مجروح

ولا خبر منه جاني).

بِنطَال أخضر

لبست في طفولتي

بنطالاً أخضر

ممزقاً عن ركبتيه

اهترأ مطاطه

تعلقت به

كنت أحب الأخضر

أعشق النوم على العشب الأخضر

كنت أشتهي كل طعام أخضر

تعلّق قلبي

أحببت رسمها بالأخضر

أحببت الفول الأخضر

والمريول الأخضر

بالأمس قالوا:

كانت هناك

تلبس الأخضر

لم أرَ امرأة تلبس الأخضر

ميّت قلبي لم يعد أخضراً

حمدت الله على داءٍ أعمى عيني

لئلا أرى الأخضر

ومن تلبس الأخضر

أقف على شفا السقوط

لأعود ... أتعمشق بأصابع الكرامة

فأنجو

أقف على نصف قدمي

أتأرجح بين سقوط العودة

وكرامة الحب

أبحث عن الخلاص

سيمضي العمر

وما زلت (**مثل معايد القريتين**).

مَحسَنَك

تُعطّش حروفاً معتَّقة

تستلّ من خفاياك الألم

على طبيعتها ...

تحكي حكايتها

تجعلك الواثق بوثوقها

تغمز .. تلمز

وتبتسم ...

فتمحو الويل

قلت: مارسي الرياضة

تدربي على الصيام المتقطع

قالت: هذا أنا

سأبقى بحروفي المعتقة

بابتسامتي المربعة

بطولي كما أشاء

بعرضي كما أشاء

برموشي المكثفة

بكَحل في عيني

بعباءتي الواسعة

لكني سأصغي متلهفة

كما أشاء

***

أقف على المنصة واثقاً

أضبط حروفي خوفاً منها

أساوي دوزان جملتي خوفاً عليها

أستوي في وقفتي لأجلها

وحدها في القاعة

هكذا يتراءى إليَّ

أسمع التصفيق

لأصحو ..

هي وحدها من يصفق

هي وحدها تفهم عباراتي

هي وحدها تشم عبراتي

منتشياً أترك المنصة

وحدها تقول:

محسنَك

وأقول معطّشاً حروفي:

محسنِك

خَربَشاتٌ على اللَّمى

وضعت إصبعي على مِعصَمكِ

كي أتحسس نبضي ..

تساوى النبضان

واكتمل الحب

كل نبضة لديك تغمز نبضتي

كل شهقة لديك أتنفسها عميقاً

كل آه من آهاتك تجر آهاتي

فتسيل على خدي الدمعة الحرّى

أخربش على اللمى

أتوه بين الضواحك

أفتش عن رضاب عالق

***

كان حبك هوناً ما

فَراق لك البعد

ولم يراودك السهد

وفهمتِ من عسى المعنى

وصرتُ الفقير

وأنت أملى وأغنى

وتجلى بوادي عينيك العهر

لي دواويني أكتبها بإيماني

أقف على حد القافية

أغرق بمنتصف الحنين

وأشهق

لك دواوينك

تلتف النساء حولك

وقت العصر

تعصرين آهاتي

وتقدمينها بكاسة الكرتون

لنسوة تتعالى ضحكاتهن

يقطعن أوصالي بحد ألسنتهن

تدورين على النساء

تقرئين الفنجان بحظك العاثر

نادينك أم زكي

تقطعين حبل السرة بماء ساخن

في الثالثة صباحاً

يطرقون بابك

يتوسلون

في الحارة القريبة ولادة متعسرة

تجيدها الخائنات

تلبسين عباءة الدنس

وتغادرين

وهناك بجانب المقهى

فُضَّت بكارتك الثانية

وصرت من القطيع

قطيع من النساء راودنني

وقطعن شفتي السفلى برموشهن

قُدّت شفتي العليا برمش طائر

أردنَ أن يسرقنني

فأضنينني بالهجر

كُنت الغطاء .. فأزحتِه

وطَلقت السِتر

ما أحببتك هوناً

خالفت الشريعة

كنت صوفي الحب

واتّبعتُ الطريقة

فطَقَّ عِرقٌ فيَّ.. وانفجر ..!

ما زلتُ ألثغُ بحَرفِ السين

أنا الذي أجيد نُطقَ الحروفِ

وتناديني النساء أبا الحروف

وعندما خلت جيوبي

وبانت لهن عيوبي

تحولت إلى خروف

مذ كنت طفلاً ...

يصفعني حرف السين

كنت ألثغ فأقلبه إلى ثين*[5]

كنت ألعب مع بنات الحي

لعبة الحروف

من يأتي باسم بنت

يبدأ بحرف السين

أبدأ متحمساً

[5] ثين: تعني سين

وأظن نفسي "دق الماني"

وإذا بي صُنع في الصين

ثناء .. فأصفع

ثلام*[6] .. فأصفع

ثماح .. فأصفع

ثمية .. فأصفع

ثحر .. فأصفع

ومذ ذاك اليوم

أعلنت للقوم

بأني خروف

ونسيت أني ألثغ بحرف السين

وأصابني رهاب حرف السين

ابتعدتُ عن كل امرأة

يبدأ اسمها بحرف السين

[6] (ثلام. سلام-ثماح.سماح- ثُميّة. سُمية- ثحر.سحر) من يلثغ بحرف السين يقلبه إلى حرف الثاء.

ما أسهل الطلاق لامرأة

اسمها بحرف الثين يبدأ

وأعلن للناس هذا المبدأ

لن أغازل امرأةً

لن أحب امرأةً

لن أتزوج امرأةً

يبدأ اسمها بحرف السين

لأعيش بثلام*[7]

وثلام عليَّ

يوم وُلِدتُّ

ويوم أموتُ

ويوم ألثغ بحرف الثين

[7] لأعيش بثلام: لأعيش بسلام.

خِنْصَر الخليل

سيدتي ...

أتظنين أنهم جاؤوا من أطراف القرى يسمعون

أم أنهم جاؤوا من أقصى المدينة للحرف يسعون

وأنت تنثرين حروف اللؤلؤ

وأنت تشبكين خنصر الخليل

وأنت واثقة تعانقي سيبويه

وتأتين بالدليل

وأنت تَسْبَحينَ بين الرَجَزِ والطويلِ

وأنت تضعين القمر بين يديكِ

ومرة تجعلينه يدور حواليكِ

أتظنين أنهم جاؤوا يسمعون

وأنت التي تعلمين مواضع الكلِم

وأن الحرف على لسانك استقام وسلِم

ناقشي يا سيدتي انطباعك للقصيدة

ثم عرّجي بسموّكِ على نقد القصيدة

افعلي ما تشائين

انطبعي كما تشائين

انقدي كما تشائين

ولكن كوني أكيدة

بأن المسعى لك يكن القصيدة

لم يقطعوا الأميال من أجل قصيدة

بل جاؤوا من أجل غنجة عنيدة

ليروا امرأة علّها تراقصهم

علّها تصبح كسميرة تغمزهم

ليروا بنطالاً أبيضَ

نصبوا له العداء

ودبت في صدورهم الغيرة

وكل واحد منهم صار ابن المغيرة

جاؤوا ليدعوكِ على فنجان قهوة

هل تبيعين دواوينك بفنجان قهوة

يدّعون الأدب

وبعضهم من علّم الناس قلّة الأدب

وأنت التي تؤمنين بأنّ

الأدب يعلّم الأدب

جاؤوا لالتقاط صورة

لكنها ليست للنشر

ففي بيوتهم حُرّاس يطلقون رصاصة الشر

جعلوها في هواتفهم

تحرسها أحرف صعبة

وفي خلواتهم يتابعون التفاصيل

وتكثر الأماني وتراودهم متعة

وأنت التي تظنين أن جمهورك عريض

بعض جمهورك يا سيدةُ مريض

جمهورك يا سيدة رؤوسهم كبيرة

وأكتافهم عريضة

كنا عندما نسمع جملة النهاية

نسمع صرخاتهم الله ... الله

وكأنهم يسمعون بأعينهم

جمهورك يا سيدتي

يلعن المنصة التي حجبت ثلثيكِ

لم يكتفوا بوجه القمر

ولسانٍ وعينين

وجيدٍ وكتفين

يريدون الغنائم كلها

فهم .. هم ..

المهاجرون والأنصار

الأموال لهم والسبايا لهم

وما لهم بقصة تحكينها

بقصيدة تغنيها

بقفشة تقفشينها

بومضة تلمع

كل منهم لم يأتِ ليسمع

بل جاء ليصنع

ليصنع المشهد

وكلنا يشهد

قد حُمِّلنا الأمانة ونؤنا بها

وكلنا في زاوية "إلا من أبى"

لأننا صفقنا لشَعرِها

ولم نصفق لشِعرِها.

وهَجَرتُ القُرَى

هنا .. لا شيء ينقصنا

هنا ..

كل شيء مباح

حتى الكلاب ..

مباحٌ لها النباح

لا أحد ينهرها

خوفهم من العقوبة أبهرها

فصارت لنا من أعز الأصدقاء

هنا .. لا شيء ينقصنا

هنا .. لا أحد يراقبنا

لم يسلط جارنا كاميرا بيته

على شباك نومنا

هنا ..

لم نَبُحْ بسرنا ...

لم يعبث أحد بأمننا

هنا ..

عفونا عن أنفسنا

وأصبحنا طلقاء

هنا ..

لا شيء ينقصنا

نجيء إلى بيتنا بالمجان

لا حاجز ولا تذاكر

لا "عصّيص"*[8] ولا شاهر

هنا ..

لا حاجة لوزير

كي نقيم أمسية

لا حاجة لمدير

[8] عصِّيص: حارس الآثار وكان يُلقّب بعصِّيص.

كي نغني أغنية

لا حاجة للحس ريالتهم*[9]

لا حاجة لوصيفة

ترفع عباءتهم

هنا ..

استعدنا أنفسنا

وعرفنا معاني الكبرياء

من هنا ..

سأخبر ميلياغروس

عما يفعلوه بنا

سأخبر أرابيوس

أنهم باعوا الأمل

سأخبره أن يعود

ويعتذر لكل المارين

[9] ريالتهم: نقول سالت ريالته، أي سال لعابه.

ويكسر شاهد قبره

ولم يعد له أصدقاء

هنا ..

لا شيء ينقصنا

أمرّ بالضاحية

فأعرف كل الناس

ملامحهم كملامحي

سحناتهم كسحنتي

هناك .. أمر بالشارع

فلم أعد أعرف أحداً

كلهم يحملون سيوفاً

ويغنون :

(من حر الشوب اشرب رايب

يا ويلْ إلْ ماله قرايب)

دب الرعب في صدري

وفن الحرب لا أدري

لم أكن محارباً

ووليت هارباً

هجرت القرية

وصاحبت العقلاء

هنا ..

لا شيء ينقصنا

أكتب كما أشاء

أغني كما أشاء

أرقص كما أشاء

أشرب قهوة العميد كما أشاء

أحمل أكياساً كما أشاء

لا أحد يفتش أكياسي

لا حجباً تحبس أنفاسي

لا أحد يسبني

لا أحد يسجنني

لا أحد يحسدني

هنا ..

عمري من عمرهم

لوني من لونهم

واجتمعنا على كلمة سواء

عذراً ..

هنا شيء ينقصنا

حجارة البيوت العتيقة

خرساءٌ لا تنطق

وجدناها تئن ...

وقد قلبوا لها ظهر المجن

تاريخ قد سودوا وجهه

بيوت عتيقة تفوح منها رائحة الوفاء

والرئيس التقي

عرفناه من الأوفياء

يا بن إربد أين الوفاء

هذي البيوت تستحق الحياة

قاوموا سقوطها

قاوموا الفئران فيها

قاموا زناة جدرانها

ساحاتها حزينة

زوجها كبّ الشنينة*[10]

فلتمسحوا على رؤوسها

لنقل بعد رحيلكم

كان هنا الأوفياء

[10] الشنينة: نوع من اللبن السائل.

بسِتَّةِ دَراهِمَ مَعدودَة

كلما ترأستُ جاهةً تغامز الناس وتنابزوا ..

في كل مرّةٍ أعودُ مزكوماً ..

نفذَ "الأموكلان"*[11]

قد سبقني غيري

عصفتُ ذِهني

بعد المرّةِ العشرين

بضربة صُدفة

غسلتُ ياقةَ عباءتي

بعد تعرُّق الذُّهول

بانت سوأتي ..

على ياقتها

إعلان باللغة العربية

كُتِبَ على غير فهم صنع في الصين

[11] الأموكلان: مضاد حيوي للالتهاب البكتيري،

تذكّرتُ يوماً ما

مرَّ دَوَّاجٌ على حماره من زقاق حارتنا

وابتعتُ منه ستّ عباءات

كان قد ابتاعها من تاجرٍ

لم يمُرَّ من باب المُكُوس ..!

الحِجَابُ

وضَعَتِ الحِجَابُ في فم المَيِّتِ

وخاطته بالكتان ...

قاسية بغير أخلاق النساء

ماذا تريد ..؟

كنت طوعها

صحوت من غفلتي

مضى العمر

لم أنجب

جَيبي قاعاً صفصفا

نَحُلَ الجنبان

واحدودب الظهرُ

طار غراب رأسي

صُلبي بات ليّنا

أحن للرجوع

ورجوعي قهقرى

أجلس في الركن الشمالي

أُمَنّي النفس

أتلوّى

أُولوِل

وعلى طرف لساني لو

وكأن النادل يقرأني

غيّر صوت المذياع

جورج وسوف*[12]

يعاتبني

تفيد في إيه يا ندم

والقلب يا ما انظلم

السابعة صباحاً

[12] مطرب سوري.

قرأ المؤذن سورة الإخلاص

مرات ثلاث

وأعلن رحيلها

طيّبٌ قلبي

قلت: رحمها الله

كانت امرأة صالحة

قالت: أنا امرأةٌ صالحةٌ

قلت: أنا لست رجلاً صالحاً

تضحك عليَّ النساء

تهجرني النساء ...

كلما اقتربتُ توسلاً

عقرتني النساء

أنا لست رجلاً صالحاً

ألبس على مهل

أمشي على مهل

ألمّع حذائي على مهل

جُمَلِي ناعمة

وتشيح عني النساء

أنا لست رجلاً صالحاً

قلبي يتنطط

شراييني أُعيدَ بناءها

عدتُ كما أنا

بلون شعري الأبيض

بعمري الذي تجاوز الشغَب

شاطرٌ بالوصف

أجيد لغة الهمس

وتصدني النساء

أنا لست رجلاً صالحاً

أملك رجلين للمسير

وتطبيقاً مرخصاً للمسير

سيارتي ليست ملكي

جيبي خاوية

أفتّش في زواياها

لعلي نسيت بعض النقود

أحلم برحلة إلى طرابزون*[13]

يشيخُ الحلم

أحلم بدعوة لها على العشاء

فتبيتُ جائعة

أنا لست رجلاً صالحاً

وعرفت للمرة الألف

بأني لست صالحاً

فلتبحثي يا سيدتي عن الصالحين

مُتعَبٌ أنا ..

ومُتعِب

[13] طرابزون: مدينة تركية تقع في شمال شرق تركيا على ساحل البحر الأسود.

بائنَةٌ سوءاتُكُم

لم ينسَ دعوتي ..

بل لم يجرؤ على دعوتي

فخصمي ابن عشيرته

(من حر الشوب اشرب رايب

يا ويله الْ ماله قرايب)

أنا وأخي على ابن عمي القريب

وغداً مع ابن عمي على الغريب

هكذا قالوا في الأثر

ليته لم يكن لكم أثر

هذا الثوب لن يستر عورتكم

بائنة سوءاتكم

أكلتم بأثدائكم

بالية أثوابكم

تبت يدا أبي لهب

علقتم بجيدكم الحبل

لننزع من تحت أقدامكم المقعد

فتذهبوا كما الذين من قبلكم

هي مرّةٌ

سنبقي الطريق واصلاً

وحبل الوداد واصلاً

الحلال بيّن

والحرام بيّن

لن تضرنا الشبهات

تعلقوا بها كما شئتم

فنحن قوم آمنا بربنا

وازددنا هدى

والله إنَّا شَعْبٌ نستَحي

ألسنا من نعبد الله ورضاه نرتجي

ألسنا أتباعَ محمدٍ وبه نقتدي

ألسنا من نحب الحسنين ابني علي

ألسنا نحب الصحابة ونهجهم نحتذي

ألسنا من يطرد الهم بالصلاة فينجلي

إن الطريق أمامنا واضح جلي

قسماً بالله إنا شعب نستحي

***

ألم تكن أرض الحشد والرباط موطني

طبتَ منزلاً مباركاً يا موطني

ألستَ من جوّع أطفاله

ألستَ من طَوَّع ماله

ألستَ من رثى سرواله

ليطعم الجار بنخوة الأردني

نحن شعبٌ لا نقطع الطريق

ولا نترك الفريق*[14]

نحن شعب لا نحب البريق

ولم يكن بيننا يومًا عُربجي*[15]

والله إنا شعب نستحي

قسَمًا بالله إنا شعب نستحي

***

ألست من أحب داره

وتفقّد كل صبح جاره

ولفّ بالبسمة زواره

ولم يُطفيء بالبول ناره

الجود من خصاله

لا تسعوا لانفصاله

[14] الفريق: مجموعة من الناس متشابهون في مبادئهم وأعمالهم، وتجمع سكني.
[15] عربجي. اسم مهنة. وفي القاموس عندالأزهري: العُرْبُجُ والثُّمْثُمُ كلب الصيد.

لا تسعوا لانفصامه

لا تتركوه يندب حظه الردي

والله إنا شعب نستحي

***

تفاءلنا بك يوما أيها الرئيس التقي

وقلنا لم يبق في البلاد فقير أو شقي

يا أيها الرئيس رفقا بنا عسانا نلتقي

نحن شعب طاولنا النجوم بالرقي

ليس فينا أزعر*[16] أو عونطجي*[17]

لا نقبل الضيم ونرد كيد المعتدي

جيوبنا غدت قاعا صفصفا

من ساسة النقد السرمدي

حقا والله إنا شعب نستحي

[16] أزعر: هو قليل التهذيب سيئ الخُلق.
[17] عونطجي: شخص سيئ يفعل أشياء مخالفة للقانون والأعراف والتقاليد.

طُفولةٌ بائِسةٌ

تكويني دمعة النهوض من الفراش

تؤلمني نكزة العصا أنِ انهض

ظاهر يدي يعاقب عيني اليمنى

بفركة شبه انتقامية

وقصة الرجوع إلى الفراش يائسة

فردة الحذاء البلاستيكي مقلوبة هناك ..

أُعدّلها مستغفراً

والأخرى تائهة

خبأها الكلب خلف القُنّ*[18] هناك

أُوَازِن الحزام المهترىء على وسطي

وأمشي نحو القُنّ متحجّلاً

ينهرني والدي

وأسبّ نفسي خيفةً

[18] القن: خم الدجاج.

والحمار مربوط في الزاوية

مشفقٌ علي

ومضيت ..

لست أدري أسوق الحمار أم يسوقني

على أطراف بستان مِزيَد

عند أول البيدر .. رجفتُ

يا إلهي .. نسيت زوادتي

قد سلبت إرادتي

الطريق ملهمة

بدأت بالدندنة

وأغني على نفسي

فمن أحق من نفسي بنفسي

بدأ الصوت مستحياً

التفتُّ حولي فأراني وحدي

أرفع درجة الصوت

موسى غرب مغرب

عجّ*[19] السيكارة اعْماني

ثم تطيب لي المهيجنة*[20]

(منجلي ويا منجلاه

راح عالصايغ جلاه

ما جلاه إلا بعلبه

ريت هالعلبه عزاه)

كل هذا وأنا أركب الحمار معتدلاً

ثم أركب كما يقولون "جنابي"

ثم "خِلف خلاف"

أشعر بنشوة الاستقلال

وكأني أملك الطريق الوسطى

غير المعبدة

تلفحني الشمس

---

[19] عج السيكارة: دخان السيجارة الذي يملأ الأجواء.

[20] المهيجنة: الدندنة وقت ممارسة العمل أو المسير للتسلية، واشتقت المهيجنة من الغناء الذي يترافق مع مسير قطعان الإبل.

وفجأة تَمَسْمَر*[21] الحمار

وإذا بحية حمراء تنساب متعرجة قاطعة الطريق

وأنا أرتجف خوفاً من جفلة الحمار

تركتها وشأنها

وصرت أرقب الطريق

وطارت مني كل الأغنيات

إلا تلك التي بها لوعة

طريق السهل ما فيكِ ميّه

طيور من السما بتبكي عليّه

طريق السهل ريتك تسيبي

يا اللي حْرَمتيني شوفة حبيبي

وصلت الأرض في سهل أم قيس

وكنا نسميها العلاة*[22]

أمامي لوحة عنوانها الوفاء

---

[21] تمسمر: وقف مكانه دون حراك.

[22] العلاة: سهل واسع في بلدة أم قيس.

الفصل: الصيف

المزروعات صيفية

وقد رسم والدي لوحته بعناية

جزء للبطيخ والشمام

وآخر للقثاء والخيار

وثالث للبندورة

ورابع للباميا واللوبيا

وسيّجها بالذرة والمقشّة

وأمي هناك تقلع بيديها كل عشبة ضارة

ووالدي يبارك الزرع بحمده ودعائه وعرقه

اليوم سأبني عريشة لأقيم بها ليالي الصيف للحراسة

وأبناء حارتنا يرسمون نفس اللوحة ..

كنا نمارس لعبة السِّرة

ولطالما أوجع مؤخراتنا (**خالد المريخ**) بحذائه المُبوّز *[23]..

[23] الحذاء المبوز: المدبب من مقدمته.

تمضي الأيام وشعري يصير مقحمشاً*[24] محمراً

وخداي مقشران

وشفتاي كشفتي عجوز

الخير وافر .. والبركة وفيرة

الخيار هو الخيار

البندورة ليس فيها خيوط بيضاء

الأرض تحفظ القرآن غيباً

وترتله إيماناً ومحبة

الثمار تقطر غنجاً

كان أبي كغيره يقرأ القرآن

ويكثر من تلاوته

"أفرأيتم ما تحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون"

وقفت في منتصف الحنين

وصدري مليء بالآهات والحنين

[24] مقحمشًا: تغير لونه بفعل حرارة الشّمس.

وأغني: منجلي ويا منجلاه

راح عالصايغ جلاه

بطلنا نحصد ونغني

ليش تبيعوها العلاه*[25]

[25] سهل واسع في بلدة أم قيس.

تَسَوُّل

يا سَادةُ .. إنْ أجدتُ الكتابة ..

فإني لا أنثر الحروف هباءً

علقوا ما شئتم صوركم

زينوا بها أعمدة الكهرباء

علقوا لوحاتكُم على السَواري

تسرق من سمائنا الهواء

من يدفع عني فاتورة الكهرباء

من يشتري لابنتي بوظة البتراء

من يقنع الساقي بؤس حيّنا

قد جفّت عروق أرضنا

من يمكنه تحقيق حلمنا

ليفتح الساقي محبس الماء

من يمسح سيل لعابنا

حين تعبق رائحة الشواء

أتظنون أني أصُفُّ الحروف في مدحكم

وأني خُلقت بارعاً بوصفكم

فلتعلموا يا سادة أني

أجيد الهجاء.

ربما من باب التمني.. ربما ترونه تجنّي

ربما ضيق العيش والمعيشه

ربما تعثرت اليوم بدفع فيشه

إني أراني أشعث أغبر

لا يُقبلُ مني الدعاء

علل يا سيدي بما تشاء

قد صحوت من يقظتي

وكسرتُ بهاتفي الملعون جرتي

واحمرَّ خدَّاي من فعلكم حياءً

فلا أنتم الأهلون مني .. والأصدقاء

من يجرّ المحراث

والأرضَ تحرثها عجولُها

لن تميز من يجر المحراث

لا ضير ..

ءأنتم الزارعون ..؟

ما الذي خبأتموه في أتلامكم*[26] ..؟

أتلامكم عوجاء

فيها بذار ليست كالبذار

قد سرقوا ملحكم

صار طعامكم باهتاً

وماذا عن ملح الوجوه ..؟

شاهت الوجوه

نبت عليها الزغب

أصفرٌ لونها

[26] أتلامكم: التِلم: هو شق المحراث في الأرض من أجل الزراعة.

حبات القمح سُلِبت نخالتها

تُلهون بها جوعكم

لا تأكلون لحماً طرياً

قد جفّ بحركم

الأغنام هربت من الحصيد

لتأكل أكياساً سوداء

عالقة بالشوك

مزّقها الشوك

تلوكها الأغنام

ونلوك لحمها

العقل والجسم توأمان

نبت الجسم.. والعقل استكان

أصابه داء الطاعة

وسيق الصاغرين إلى الحظيرة زمراً ..!

فُتِحَ المزاد

فتح المزاد ببوس اللحى

أرقام الهواتف معلقة على الصواري

من قال أني بعيد

لست بعيداً

ها أنذا أزوركم

أبوس أياديكم

والإعفاءات المقدسة

في جيب السيارة

قاعدتي متينة

نلت إجماع العشيرة

فتح المزاد

قاعة المزاد مغلقة

أغلقت للمزايدة

فيها الصراحة زائدة

وصلت إلى حد الكذب

قاعة أخرى في الجوار

نفس الشخوص

إلا صاحب الهاتف المفتوح

شخص في الزاوية

هاتفه في جيبه

يسترقّ السّمع

في القاعة الثالثة

اجتمع الناس حول ثلاثة

واحد يصيح

على أونا على دو على تري

يبدو أنه قادم من روما

مطرقة تنهي العد

تأتي بالحسم

المزاد وصل المرفأ

كريستي*[27] يعلن الفائز

هيا إلى الخطاط

واكتبوا اسم العشيرة

ومرشح إجماع العشيرة

في القاعة الواسعة

مزاد حرام

مأكله حرام .. غُذّيَ بالحرام

أكبر من العشيرة

يجيد التسلل

وضربات الجزاء

طغى على المزاد

كريستي صار أصمّاً

والمنادي نسي لغة العد

[27] مؤسس دار المزادات في بريطانيا عام 1766.

سيارة فارهة

سقفها مفتوح

بالبدلة الزرقاء

يلوّح بيده

يرفع شارة النصر

قبل بدء المزاد الأخير

بثلاثة أشهر ..!

ستلقي بك من النافذة

حتى دقيقةٍ كنتُ أهوى

لم أكن أعلم أنني أهوي

أيها المترف بمشاعرك

لا تبسطها كل البسط

فتمشي على أربع

اربط حزامك

فالطريق وعرة

متمرسة بالقيادة

ستلقي بك من النافذة

لن تأسف على وسامتك

لا تلقِ بقلبك إلى التهلكة

لا تضع جميع قلبك في سلتها

قالت جدتي:

اسقها بالقطارة

الجرعة الزائدة تستلُّ عيونها

لم تكن جدتي بخيلة

جدتي درست الترشيد

في استهلاك القلب

الحب يأتي بغتة

ويرحل بإغفاءة قلب

قف على شفا الحب

واجعل بيدك حبات بزر إيراني*[28]

وتحدث الفارسية

كي يضيع فهمها

الكذب نصف معقول

صدق المشاعر يجرُّ للمجهول

النار في القاع مشتعلة

[28] بزر بطيخ إيراني حبه صغير لونه أحمر.

وأنت لا تؤمن بالنار

دعها وحدها

تصير مجوسية

كن وسطياً

حتى لا يجرك النمل إلى واديه ..!

لا نكتب للدجاج

قال بيكاسو*[29]: أنا لا أرسم للدجاج

قلت: ونحن، لا نعيش في قنٍّ لنكتب للدجاج

لنقرأ قصة كي ينام الدجاج

ليقف الشاعر ويتغزل بالدجاج

نكتب لنصدَّ موج الجهالة

حينما نراه قد ماج

الكتابة رسالة

القراءة عبادة

ليأتي الناسكون أفواجاً

تتبعهم أفواج

لا نكتب للدجاج

ونحن نأكل لحم الدجاج

لا نكتب لميت

[29] بيكاسو: رسام ونحات وفنان تشكليلي إسباني (1881-1973)

يأكل لحم أخيه ميتاً

نكتب لمحبٍّ ألبس أخاه التاج

لامرأة تلظم إبرتها

لامرأة حُرِمت غفوتها

لامرأة تطهر يدها

بجمر موقدة

تطعم أطفالاً من خبز الصاج

نكتب ليد خشنة باركها الله

تفتح عينيها تسبح الله

تقول على بركة الله

لا نكتب لصدر امرأة

تحرس شباكه شامة

لا نكتب لرجل تصابى

فصدّقت بنات الحي أوهامه

نكتب عن امرأة باركها الله

نكتب عن رجل مرفوع الهامة

لا نكتب لا نرسم للدجاج

نكتب فنشقى

من يعرف يشقى

وفي الشقاء سلامة

لن تعود

قال العرّاف: لن تعود

وقارئة الفنجان: لن تعود

وفاتحة الودع قالت: لن تعود

قلت: ولن تعود

لست من عشاق الانتظار

لا تسعني بوابة الانتظار

أغلقت باب قلبي

أشعِلوا حرائقَ الرحيل

أقيدوا لهيبَ العودة

كونوا كما شئتم

خارج قلبي ..!

وكزني حسن ناجي

بقلبه الكبير

أيها اللئيم

قال حارس الآثار: لن تمر

أغلق الحاجز وقال:

لن تمر

يا أيها الحارس أفق

وانظر إلَي

ما بك علَي

بالأمس كنتُ عزيزَ القوم

قال: نحن أبناء اليوم

قلت: بيتي هناك

قال: بيتك ..!؟

باعه الأجداد

قلت: لي قصيدة مبتورة

دعني أقف على الأطلال

سأختم القصيدة بالدموع

لا تحاول

دعك من فكرة الرجوع

حارس الآثار لئيم

قتلني بلؤمه

لا .. لا ..

ليس باللئيم

من لقنه اللئيم ..!

سيجيء الورد في موعده

آه على وجع مضى

ألف آه

التأم الجرح

رشوا الملح كما تشاؤون

النار أكثر من رماد

خبئوا عيونكم

صبوا الزيت كما تشاؤون

(حُطُّوا بِبُطونْكُم بطِّيخ صيفي)*[30]

لم يقرب حدودي الحيف

اقرعوا طبولكم الفارغة

ارقصوا بعرجاتكم

عن أي فرح تتحدثون

عن أي نصر

[30] تعبير شعبي يُقال كمثل لنزع القلق الذي يراود الشخص، وزرع الطمأنينة في قلبه.

عن أي فتح

عن دجاجاتكم

ها هي خارج القن

عن بطولاتكم

وقد صلّبتم من خلاف

عن انتصاراتكم

وقد قُطّعتم أوصالاً

رغم الوجع

رغم المحن

اقلبوا ظهر المِجَن

النخل على طوله

الصقر في أعاليه

تبّت أياديكم

الورد جاء في موعده

قبل أربعين عاماً .. حج أبي

قبل أربعين عاماً

حدثنا أبي عن حجه

عن الباص الذي تعطّل وسط الصحراء

عن مشاغبات الحدود

عن المونة التي يحملونها

لن يسلِموا معداتهم

لهوى البنغالي*[31]

حجّ أبي

ووقف على عرفة

صعد إلى جبل الرحمة مغامراً

لم تكن أمي هناك

سعى بين الصفا والمروة مهرولاً

طاف حول الكعبة

[31] البنغالي: العامل الذي يحمل الأمتعة.

لم يخطىء عدّ الأشواط

ما زال كتفه موجوعاً من وكزة الإفريقي

يده على حزامه

حرصاً على ما يملك في سفره*[32]

حدثنا أبي عن حجه النظامي

عن رجل يحمل أمه على كتفيه

وتدعو لابنها الصغير الذي يسطو على علبة النقود

عن نساء يدافعن الحجيج لتقبيل الحجر الأسود

عن عدد الأعمدة في البيت الحرام

عن بلاط تتسلل منه البرودة

عن الركن اليماني

ومقام إبراهيم

عن كبير يطوف ويسعى

محاطٍ بحراسه

[32] ما يضعه في حقيبته من أموال ويربطه على خصره.

عن امرأة تناشد الله بصوت عالٍ

ليأخذ حقها من زوجها الذي تزوج

حدثنا أبي عن حجه النظامي

عن رضّةٍ في مؤخرة رأسه

إثر جمرة أخطأت إبليس

حدثنا أبي عن مشواره من منى إلى المزدلفة

عن مظلته البيضاء

عن الحلاق الذي سيحلله من الإحرام

عن الذبح والأضاحي والزكام

عن أم سليمان التي قالت بعد رجوعها: لا أراكم الله إياه

عن جارنا العصبي

الذي ترك حجته على حدود المدوّرة

أسرّ أبي لخاصته

بأن المسابح من سوق البخارية

وكذا ألعاب الصغار

كان أبي تاجراً

يحسب فرق الأسعار

حجَّ أبي نظامياً

وبعد طواف الوداع

ساح

تفقد المكان

جاء بتفاصيله

ليروي الحكاية

صار دليلاً سياحياً

يرسم لك خارطة الطريق

ومكة والمدينة

يصف لك صحيفة المقاطعة

التي أكلتها الأرَضَة

وبقي منها اسم الله

يصف لك مقام إبراهيم والركن اليماني

ينبئك بمن خاط ثوب الكعبة

يسرد لك قصة بدر وأحد والخندق

وأسرار بني النضير وقريظة وقينقاع

أبي حَجَّ نظامياً

غير آبهٍ بالحواجز

وكيف سيعود متسللاً من جَدّة

نفر الحجيج

وبدأوا رحلة الرجوع

عد أيها السائح الحاج

أيها الناجي

فلديك قصص مثيرة

سرديةٌ

سنكتبها من أفواهكم

على جناح الطير

نويت السفر فعدلت

سافرت كثيراً.. ونلت قليلاً

ثم عدت

عاودني الشعور .. فقررت

أن أعاودها الكرة

لملمت ما في جيوبي

دفعت الضريبة وقدَّمت

لم تكن ابتسامتي صادقة

هكذا قالوا:

كل الذين سافروا

ابتساماتهم ساحرة

قال لي:

سآخذك على جناح الطير

قلت: حمارنا أسرع

ثم صدّقت

كل الذين تعلموا الوفاء مني

أتقنوا اللغة هناك

صاروا قاب قوسين من طلاق نسائهم

ليتزوجوا المصلحة

ثم يعودوا أوفياء

جواز سفري ما زال مركوناً بالزاوية

ولأن الذيل قصير

قررتُ أن أبقى

تظاهرت بحب الوطن

أقتات على فتات الضمان

وأعمل بالمجان

لذيذ أن تعمل بالمجان

لستُ أجيراً

لكني أحب الوطن

لأول مرة أقولها

دعوني أتظاهر بها

فالشريف من لا تطول يده

لن أستطيع السفر

قد خبأتُ جواز السفر

تجديده قصة أخرى

هو البادىء والبادىء أظلم

سأبقى أهشّ على غنمي

بعصاي الغليظة

ولي فيها مآرب أخرى

لن أركض في مواسمكم

طُرُقكم وعرة

وطريقي معبّد

شكراً رئيس البلدية

ستبقى في قلوبنا

لا ترفع أنفك

لتبحر في يمٍّ متلاطم

أما قتيبة

فإني أغني له كل هدأة ليل لينام

لا تسافر .. لا تسافر

تعلّم جلي الصحون

كن عوناً لعروسك

الصحون هناك مهلكة

تعال معي وغنِّ:

يا وطني أنت الأحلى

أنت الأحلى يا وطني

لستُ بطل الرواية

يقرأني فيقول:

قل الحمد لله

ها أنت تمشي على الأرض

وتحصل على القرض

تغفو وتصحو

وتأكل الطعام

نراك في منتصف العتمة

تقرأ وتكتب

والناس نيام

قلت: لستُ بطل الرواية

لستُ المراد بالمعنى

أجلس على الطرقات

على طاولة المقهى

أركب الباصات

أمشي على الأرصفة

أشتري ملابسي يوم السبت

تجرني البالة والتنزيلات

أخيط زر القميص بيدي

الوخز لا يؤلمني

أنا مثلكم... لم يبقَ من راتبي إلا الفتات

أُلبِسُ به الطواقي والقبعات

أكتب الوجع... لأبرىء نفسي

ربما يسمع الحكيم

فيصف الدواء

كان صوتي مدوياً

فأناي هم.. وهم أناي

قلمي لي، وما يخطُّ لهم وعنهم

أولئك هم المَوجوعون ..!

لستُ مريم

كنت أهزُّ بجذع النخلة

تساقط عليَّ رُطَباً جنيّاً

كنت آكل لحماً طرياً

كنت أسلّم على الحاكم

من غير حجاب

أصلي الجمعة على يساره

ويقول: تقبّل الله

كانت دوالي الرحمة تظلّني

غير آبهٍ بنهار الصحراء

كل أصدقائي أوفياء

سهلة هي الأشياء

على خديها غمازتان

تناديان ..

ابتسم أنت في الشارقة

مِن بعد مَرِّ السنين

مَن يردّ الروح إلي

ليتها تنادي ..

ارجع إلي ..!

بدأ الضجيج

جاؤوا على حين غرّة

ليقلبوا المشهد

نصبوا منصاتهم

وبتنا نصفق على كراسينا البالية

تاء التأنيث مربوطة ..

ونحن نصفق

التاء المربوطة قد فُكّ وثاقها ..

ونحن نصفق

مفعول به يرفعونه على الأكفّ ..

ونحن نصفق

همزة أجلسوها على كراسيهم يخافون عليها الوحدة ..

ونحن نصفق

جعلوا ليحيى ألفاً ممدودة خوفاً عليه من القصور ..

ونحن نصفق

قطعوا الوصل ..

وصلوا القطع ..

ونحن نصفق

جاؤوا يحثّون الناس على اللا قراءة ..

نهزّ رؤوسنا ونصفق

يلتقونهم في برامج الصباح ..

نشاهدهم ونصفق

وضعوا صورهم على الصفحات الأولى من الجرائد ..

نشتري الجريدة ونصفق

يمثلوننا .. ويمثلون علينا ..

ونحن نصفق

بتنا على شفا جُرفٍ هارٍ ..

وقالوا:

فلتلقوا بهم إلى التهلكة

قد عفا عليهم الزمن

نهض القرّاء من غفلتهم

لوّحوا بكتبهم .. وهتافاتهم

بدأ الضجيج

هربت الأواني الفارغة

عاد الخليل ..

عاد أبو الأسود*[33] ..

وأُغلِق محل الدروع بالشمع الأحمر ..!

[33] هو عطاء بن أبي الأسود الدؤلي ملك النحو. ولد في الكوفة.

المدينة المقدسة

ثمانية وثلاثون مطبّاً

وكأنها تراودني عن نفسي

لا تزر مدينتك المقدسة

حتى تدفع الجزية

نلعنها كل يوم

ونلعن طريقها

تعالوا لزيارتها

ولكن مشياً على الأقدام

فالطريق مزروعة بالألغام

أيها الزائر تمهّل

إن جئت المدينة المقدسة يوماً

ستلعنك الملائكة

لا تلقِ بفرحك إلى التهلكة

لن تجد شربة ماء

ستأتي الشمس على مؤخرتك

جفّ الضرع .. والأرض عاقر

لا ثوم نغمِسُه باللبن

ليكون لك شفاء

أيها المغرم بالحضارات

جهزنا لك السوط

وننادي: (مشان الله تعال زورنا)*[34]

حُفَرٌ فوق المطبات

أطفال يلعبون الكرة في الطرقات

دليل سياحي

يروّج ل(الميرمية)* البرية تثير الضحكات

وعسل من سدرة*[35] قال تحتها السيد المسيح

دليل يروّج لـ (**سايكس بيكو**)*[36]

---

[34] مشان الله: لفظة شعبية تعني بجاه الله. أي أستحلفك بالله.
[35] سدرة: شجرة السِّدر لها ثمر يسمى الدُّوم أو النَّبق.

ويشرح قصة الخنازير كما يشاء

هيئة تنشيط السياحة غافية

على باب مغارة المسيح

تصحو من غفلتها

وتنادي:

تعالوا إلى المدينة المقدسة

[36] معاهدة سرية 1916 بين فرنسا وبريطانيا لاقتسام منطقة الهلال الخصيب، وتقسيم مناطق النفوذ.

أيها المارُّ من هنا

صلبوني على جدار بيتنا العتيق

وكأني أقبّل ذا الجدار

تركوني في العراء

مرّ الأغراب .. لا شأن لهم

مرّ الجيران .. تهاوت أقدامهم

شدّوا على قوادمهم

وأذّنوا في العير

هيّا للرحيل

في العيد كنتُ الضحية

ليرحل القوم

رحل القوم .. وبقيتُ مصلوباً حتى آخر قطرة من القوم

فُكّ وثاقي .. جثوت على ركبتي

حبوت مودِّعاً آلهة الجمال

تركتُ قلبي ودمعتين

في ساحة دارنا زيتونة مباركة

كانت أمي تسقيها بدموعها

وأبي يُرطّب تربتها بعرق أبطيه

رحل القوم ..

لتخرج الأفاعي من جحورها

لتسكن بيتنا الفوقاني

ومضافة جدي

لتحرس الحضارات

فحرام على بلابلها الدوح

لن يستطيع الشعراء الغناء

وإن مرّوا بها

عطشى حكمة أرابيوس*[37]

لم يزهر مرج ميلياغروس*[38]

---

[37] شاعر جَداريٌّ في العهد الروماني. اشتهر بحكمته عندما قال: (أيها المار من هنا، كما أنت الآن كنتُ أنا، وكما أنا الآن ستكون أنت، فتمتع بالحياة؛ فإنَّكَ فانٍ).فترة 355 ميلادي.

الشجر في خريفه

النحل لم يضع عسلاً

العصافير لم تشدُ بأغانيها

وصمت الشعراء

أيها المارّ من هنا

ارحل ..

لم تعد بقية أمل ..!

[38] شاعر جَداريٌّ سوريٌّ في العهد الروماني، له ديوان الإكليل. عاش في القرن الأول قبل الميلاد.

شكّل نصّك

شكِّل لي نصك ... واصعد

ليكون كلامك ... أجود

وانظر من حولك جمعاً

لجميع حديثك ... يرصد

أخذوا في الخلف مكاناً

بجوار صليع أمرد

فاحذر أن ترفع مجروراً

بحديث الواثق ... اصعد

واحذر أن تعطي سبباً

فيمد الرجلين ... المُسعد*[39]

شكِّل لي نَصَّك ... واصعد

فجميل كلامك ... نحمد

من كل مكان جئنا

[39] المُسعد: عالم لغة تونسي.

كي تسعدنا ... ولِتسعد

نتمنى منك كلاماً

دُرَّاً منثوراً ... عسجد

إياكَ تُتَأتِئُ قولاً

وابقَ بحروفك ... مُعتد

وامنح لحروفك ثقةً

أبحر ... في جزرها والمد

اترك ... ليراعك سمتاً

يرقى الطوفان الأربد

يا إربد تيهي واسميْ

أمّ البلدات ... وأزيَد

تيهي بثقافة شعبٍ

وابقيْ للديرة

معهد.

تيـــن

قالت: اشتهيت التين

نحن في تموز

مالي أرى التين عصياً على الاستواء ..؟

انتظري قليلاً

مررتُ ببائع الفواكه

في الواجهة حبات تين شوّهت خدودها أصابع خشنة

صارت مشاعاً

تتناقلها الأصابع

ربما في طريق المزارع

فلاح من إربد

عبأ التين بِدَلوِه

بكرٌ هذا التين

لم تقبله الأصابع

قلت: لا تغسلي التين فالماء لا يطهّره

تعالي معي إلى بستان صديقي

قلت: لا تجهز فطورك

يرقبنا من النافذة

نتخير حبات التين فنصطادها

وعندما بدأنا بتقشيرها ..

نادى: قد جهزتُ فطوركم

الفلاح عركته الحياة

وأنا فلاح من إربد ..!

بدلة زرقاء

زُرقة اللون تشتد

تضع عوداً في عين الحسود

بدلة زرقاء تميل للشياكة

لن تكشف الجيوب الخاوية

أصبحتْ قاعاً صفصفاً

في الطريق ..

قالت امرأة بعباءتها السوداء:

أنت رجل طيب

قلت: لم يمت قلبي

خلسة سحبت دراهم معدودة

وحلفتُ على جيبي صادقاً

ما زلتُ على أناقتي

لون عينيّ يشبه الأزرق

هرب الحاسدون

عرفوا أني أجيدُ الاستعارة

بضع دقائق ويبدأ الحفل

على المنصة يروني غنياً

تبينُ نواجذي

أنوي صلاة التهجد منذ البدء ..

منذ وقوفي على المنبر

لعلي لا أُجلد

ربما اقترفتُ إثماً عظيماً

الجيوب الخاوية تُخْليك عن مبادئك

تُطلق لسانَك

لم يعد حصانك

المدح في غير موضعه

كالسب في موضعه

هناك امرأة تقرأ سورة الناس

وأخرى تتمتم

صفّق الحاضرون لانفعالاتي

وامرأة ثالثة صفعتني

في البهو تناولنا القهوة معاً

ولن أتوب

قالوا: كمثلِها لن تتوب ..!

لا تقربوني

وقفتُ على طرف الانطلاق

هدأت حواسّي

تشبثتُ بأطرافي

منتظراً صافرة البدء

هناك من يشدّني

تراجع .. لا تنطلق

بدأ السباق

لم أستطع الوثوب

خسرتُ الجولة قبل انطلاقها

على الطرقات صور المتبارين

بانت نواجذهم

قال أحد المارة:

ما لهم يضحكون ..؟

قال الآخر:

ربما يضحكون عليك

قلت: وبعد الفوز ..؟

قال: يمثلون عليك

قلتُ: كم تمنيت أن تزيّن صوري الجميلة شوارعنا

لكنهم المرجفون في الأرض

لم ينتهوا ..

وجعلوني من الخوالف من غير رضى

لا ضير .. هناك جولة أخرى

سأكون على رأس القائمة

وكثير من الناس حولي

قراري معقود بالأمل

الجرّة ستكون ملآى

يتهافت الناس علي

الصمت لا يعني الفرار

الصمت استعداد للقرار

أنادي بأعلى الصوت:

لا تقربوني

فإني مللتكم

مللتُ تضاريسكم

مللت بياناتكم

مللت شعاراتكم

أنا العارف بتفاصيلكم

لا تقربوني

فضرب اللسان أنكى من ضرب السنان

دعوني أراقب الصور المتناثرة

هي فرصة عظمى

والأخشاب غالية الثمن ..!

تعليلة

فرحون بالفرح ..

لبينا النداء

استقبال حار .. حب صادق

تحوّط الشباب ..

عزف اليرغول لحن زريف الطول

بدأ الحماس .. العيون ترقب القائد

كلهم يتبعون أمر القائد

يبدأ بخطوتين ورزعة*[40]

يخرجون قليلاً عن أطوارهم .. كلنا كذلك ..

نرقص على صفيرة

يشير القائد بملوَحَتِه أنْ وحّدوا

يعاودها الكَرّة بلحن جديد ونهاية موحَّدة

يعقد الصاحب في السفر حاجبيه

ما بك تعقد الحاجبين ..؟

[40] رزعة: ضربة الرجل بالأرض أثناء الدبكة.

قال: صُمّت أذناي .. ثم التجديد يفيد

هل هذا جديدكم ..!؟

عودوا إلى ماضيكم

هذا الرتم كنا نسميه الدبكة الشمالية

أين الجوفية*[41] ..؟ أين الدحيّة*[42] ..؟

أين الربت على الأكتاف ..؟

أين الشبابة .. أين القربة ..؟

قد تورّمت رئتا صاحب اليرغول*[43]

صارت دبكاتكم كحياتكم

كلها رتابة

أين العريس ..؟ ووالد العريس ..؟

لنبارك لهما

نحن في زمان .. الرجوع فيه للوراء تجديد..

بئس جديدكم .. وتجديدكم ..!

---

[41] الجوفية: لون غنائي شعبي ذكوري دون مرافقة الآلات الموسيقية.
[42] الدحيَّة: رقصة بدوية جماعية تُمارس لإثارة الحماس.
[43] اليرغول: آلة موسيقية نفخية مصنوعة من نبات القصب.

شمّة هَوَا

ثلاثة على الطاولة

رجل وامرأة وطفلهما

يا لحظي ..!

أبحث عن الفرح .. فيأبى

إني أشعث أغبر

جلستُ مكرهاً بجوارهم

بدأت السهرة

لم ألتفت لمن يحادثني على الطاولة

فضولي أنا

لأتعرّف على بساطة الفرح

كيس بزر عباد الشمس بين يديها

هناك ثأر بينهما

الزوج مشغول بالقهوة السادة

وكُمِّ قميصه

الطفل يمرح ويلعب ثم يعود ليعبث بكرسيّه

المرأة تنتقم من كيس البزر

خطوات يدها متلاحقة

أسنانها على طبيعتها

قد تآكلت قواطعها

صوت الفصفصة يكاد يزعجني

امرأة غير آبهة بما حولها

الثأر قضيتها

وعند آخر حبة .. انتهت سهرة الخميس

لملمت أغراضها

وقالت: اتبعني

كل يوم أعود للمكان

بانتظار (صهللة الفصفصة)*[44]

ومن يكنس الساحة ..!

[44] صوت فصفصة البزر.

مساء الخير على الحبايب

غفوتُ ..

وعلى صدري طوق الحمامة

ما زال منتظراً

عند الفصل الأخير

سال مع حركة جسمي

صحوتُ مفزوعاً

الفكرة تحوم

كتبتها باختصار نصاً نثرياً

العنوان:

جاء في الأثر: أريحوا النفوس

كان المعجبون أربعة وامرأة

علّق نصف رجل وامرأتان

كتبَتْ على صورتها وهي تجلس في المقهى

مساء الخير على الحبايب

وعادة ما تستخدم أوسط أصابعها

خرطوم الأرجيلة بيسراها

كوب الكابتشينو ذو الرغوة كاد يبرد

لحظات ..

جاءتها رسالة تبشرها

بأن عدد المشاهدات يستحق مبلغاً مالياً

تهافت الناس عليها

صارت من المشاهير

دون أن تقرأ كتاباً

فهي أحلى من كل الكتب

قررتُ أن أقرأها وأكتب عنها

كما كتب ابن حزم:

(فتاة عدِمتُ العيش إلا بقربها

فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج) ..!

أولويات

في جيبي بضعة دراهم

نهجتُ نهج الحكومة في ترتيبها

بطاقات الهواتف

الأشياء الزاكية

فاتورة الكهرباء

فاتورة المياه

مستلزمات البيت من الطعام

صاحب البيت أشعل الجرس

الديون بفوائدها للشهر القادم

واللعنة على آخر الشهر

أما الرسوم الجامعية ..

معلقة بأرجوحة التأجيل

وما زلنا ننجب ..!

الصوت المبحوح

الساعة السادسة صباحاً

تنهرني الصحوة

تأتي الفكرة بعد السكرة

سكرة النوم

يمشي القلم الأخضر نحوي

فيمسك أصابعي

يومىء إلى الورقة البيضاء

تطير إليّ

هيا اكتب رسالتك

صوتي خارج الصندوق

كلما قبضت عليه من عنقه

أفلت منّي

عنيدٌ صوتي

لا يطيعني في معصية

كلما جاء وفدٌ .. قلتُ:

لا تطيلوا زيارة المريض

صوته مبحوح

بُحَّ من بياناتكم

لم يجد علاجاً في مستشفى الحي

تهافتوا لحجز سرير له مجاناً

هاتِ صورة الهوية والتقرير

هذا الصوت انحنى كثيراً

وصار سُلّماً ..

ليصعد درجاته المدافعون

عن حقوقنا على الورق

قال الطبيب في وصفة الشفاء:

كن خارج الصندوق.. تتعافى ..!

سبعة رجال وامرأة

في القاعة .. سبعة رجال وامرأة

رأوا في المنام أنهم

يجلسون في الصف الأول

ضاق المكان

لا يتسع إلا لكرسي واحد

ربما نأتي بآخَرَ لامرأة

لسنا في صلاة الجماعة

لتقف خلف المصلين

صار التزاحم

لا مبدأ.. تعطلت لغة الإيثار

كلٌّ فرَّ من أخيه

مَنِ الأقوى .. من الأقدر .. من الأجدر ..

ليجلس على الكرسي ..؟

صبغة الشعر لها نصف علامة

ربطة العنق لها نصف علامة

الكرش له نصف علامة

الوسامة لها علامة

الجيوب المنتفخة لها علامة

حب الناس له علامة

النسب له علامة.. السيرة لها علامة

الوعود الهلامية لها علامة

زيارة البيوت لها نصف علامة

أما الهاتف فله علامتان

عشر علامات كاملة

مَنِ الفائز بالكرسي ؟

هي (قسمة ضيزى)*[45]

أما المرأة .. فتاهت في العتمة

وحفظنا اسمها .. من نشيجها ..!

[45] تعبير قرآني. أي قسمة جائرة وغير عادلة.

جاهة شعرية

في الحارة الضيقة

على جنبات الطريق

جلس أبناء العمومة من الشعراء

قال أحدهم: خير العشيرة للعشيرة ..

والشعر خير

لِمَ تلقون قصائدكم هباءً ..؟

قال الثاني: الخير يعُم

فليكن شاعر من البلدة

قالوا: فليكن

قال الثالث: وماذا عن الوطن ..؟

أجمعوا على أن البلدة وطن

حدود البلدة مغلقة على الشعراء

لم يكتبوا على بابها

(ادخلوها بسلام آمنين)

حلال على شعرائها الدوح

حرام على الشعراء من كل صوبِ

هي أمسية مغلقة

وقف الحارس على الباب

يفتش عن مكان الإقامة

خمسةٌ .. لم ينالوا شرف الحضور

كانت أمسية ثقافية بامتياز ..!

قل قصيدتك ..

جئنا نحضن القصيدة

لمَ الشرح ..؟

أتظن أن قوافيك عسيرة علينا

تضبط الوزن .. فلتتلطف بمشاعرنا

أتفسّر معنى الماء

فالماء هو الماء

أبطال القصيدة

نعرفهم

عشنا سيرتهم

لست وحدك من يؤرخ للأنساب

قل تاريخهم شعراً

واشرح سيرتهم للعائدين من المدرسة

قطعنا وعثاء الطريق

لتقول لنا سيرة الشهداء ..؟

وجاؤوا بك من العواصم

لتحكي لنا الحكاية

لتخبرنا عن هاتف مليء بملح البارود ..؟

مللنا الحكايات

منصة الشعر للشعراء

ليست لرواية حكاية سمعناها في نشرة الثامنة

جاؤوا بك كي ترسم بالكلمات

وإلا سنكتب النعي

ونقول مات الشاعر .. مات

ونزلتُ من السفينة

رست السفينة على أطراف الوحل ..

أخذ بيدي رُبّان الثقافة

على أياديهم كان الخلاص

وبدأ الحوار ..

المدارس النقدية وأبوابها المغلقة

النظريات التي كانت متكاملة

النظريات التفكيكية التي حُلّت براغيها ..

عصر موت النظرية وموتنا

قصة الحضارة وهدم أركانها

الثقافة العربية المرتبكة

الرواية العربية التي لا يموت فيها البطل

قصيدة النثر التي تضع الشمس بين يديك

الدلالة والتأويل والتهويل

الدهشة الهشّة

بناء القصيدة وأعمدتها الرخوة

لماذا نقرأ ..؟ كي نعدّل السلوك

لماذا لا نقرأ ..؟ كي ننتخب ابن العشيرة

الآن عرفت ..

أن البحر الذي في جدارا العتيقة كانت تتلاطمه الأمواج

ليس بحراً .. هو سخام الدِّمَن ..

عفّر أقدامنا

حجارة البيوت جعلوها خرساء

تعبثُ الأفاعي بخشونتها

قالوا: حمداً لله على السلامة

تعالَ واركب معنا

هناك مقعد يليق بك

على باب السفينة .. اقترفتُ إثماً

جواز سفري ليس عليه تأشيرة

نأيتُ بنفسي .. انقلبت السفينة

ما سار ركبها .. فأنا في منأى

وصلتُ إلى شاطىء الأمان

ولطاولة في نادي المعلمين

أحبُّ إليَّ من قوائمهم

فإني لا أطيق صبراً على الشتائم ..!

أمسية شعرية

في الأمسية الشعرية

جلستُ مع الآخِرِين

جاء المبطئون

جرّوا كراسيهم

لم يأبهوا بحرمة الشعر

ومقام الشعراء

الصورة واضحة أمامي

عدَدْتُ الحاضرين

انشغلت بالنساء اللواتي يتحدثن

لم أسمع قافية البيت الذي أعجبني

وصفق له الحضور

ما زالت امرأتان تتحدثان

ربما عن امتحان الرياضيات

الذي مرّ صعباً على ابنيهما

الشاعر يخاطب الأولين

جهاز الصوت ملعون

يجلب لنا الشياطين

عند كل قافية يطلق صفيره

الشاعر لا يجيد التعامل معه

الشاعر منبري

وليس على الورق

هكذا ورد في سيرة الأولين

تهافتنا كي نسمعك

ديوانك لدي

قرأته على مهل

نريد فيض مدمعك

صمتت النساء

قل ما تشاء

لا حواجز بيننا

دعني .. بل دعنا

بعد انفعالاتك نقول:

الله..!!

تجنّب لعنة الله

والملائكة

والحضور أجمعين ..!

رقم خاص Private Number

يرن هاتفي

رنة الهاتف اخترتها بعناية

" قلبي شو مشتاق للحبايب "

تنادي ابنتي:

الهاتف يرن

تخبرني بأنه رقم خاص

دعيه يرن

لماذا لا ترد ..؟

ربما مرشح للانتخابات

أقول لنفسي:

ما زال صوتي بقبضة يدي

سأطلق سراحه يوم التاسع من أيلول

وزوجتي تجرها العشيرة

صوت ابنتي ملكها

ربما أحد الدائنين

اصفرَّ وجهي

تصببتُ عرقاً

لا أملك قيمة فاتورة الكهرباء

لكني أدخن

أراه ضرورة حياة

ماذا أجيب ..؟

سأذهب إليه

ليراني أشعث أغبر

ربما طليقتي خاطئة ..

قد غطى غبار الزمن وجهها

ربما بنت الجيران أيام الصبا

قد وعدتها بالزواج

ربما رأوني كبيراً

لا أملك هاتفاً أرضياً

والوزارة لم تستقل

ربما هم .. إني أخافهم

كن على الهاتف كشمس النهار

لا تخجل

إن أخجلك اسمك

فاكتبْ

أنا ابن فلان

أنا ابن فلانة ..!

في القائمة حرف السين

على قارعة الطريق

انتظرتُ طويلاً

خجِلٌ من بدلتي

وربطة عنقي الحمراء

لم يلتفت إليْ

يمرّ جيئة وذهاباً

يسلّم علي

في القائمة حرف السين

وقفتُ على قارعة الطريق

لعل الباص يمر

أريد الذهاب إلى الصين

عذراً إلى السين

في دنيا الوظيفة حرامٌ عليّ السين

واليوم ضاق بي نهر السين

النهر فاض بالنكران

جاؤوا بواحد

حشروه

دخل "مواربةً "

عانقه حرف السين

أوراقي حبلى بمحبة الناس

خاف من أوراقي

وانهزم

وسكتُّ عن الكلام المباح

بانتظار العاشر من أيلول ..!

لكم طريقكم ولنا طريق

لسنا بهذه القساوة

من حاد عن الصراط

"نشطف له الطريق "

كي لا يعود

من سبّ مرّة

يسبّ ألف مرّة

من خان مرّة

يخون ألف مرّة

المسح على اللحى

لن يرجع الحقوق

العباءات صارت تشترى

على المبدأ

ثابتون على المبدأ

كلما انحدرت صخرة لتغلق الطريق

أزحناها .. لنبدأ

لن نعفّر الرؤوس بالتراب

لسنا بهذه القساوة

لهم طريقهم .. ولنا طريق

أما أنا

أما أنا .. فإني بخير

أجلس مع الصحب ساعتين وأكثر ..

يغمرنا الجدّ مرة

ومرة للهمبكة*[46]

لولا الضحكات لما كنت بخير

أنا بخير

تكثر الفراشات حولي

نصفهنّ مني وإلي

والنصف الآخر يضحكن علي

لكني بخير

الجلسة بدون الفراشات بور

على الطاولة الجرداء لا أدب

الفراشات تعلم الأدب

[46] الكلام غير الجاد بقصد المزاح والتسلية.

أثر الفراشات على الشاعر

تدور القصة حولها

القصيدة تتكىء على جناحاتها

الفراشات تدور حولنا

وأنا وجه النور

تتقاتل الفراشات حولي وعلي

أما أنا .. فإني بخير

ها أنذا أتمتم

مثنى وثلاث ورباع

ولن أعدل ..!

صورتي ليست جميلة

تتنطط*[47] عروقي من عنقي

طار غراب رأسي

في الصورة يهجوني بشار

لي أنف من أنوف

أنفت منه الأنوف

أنا في الشام أصلي

وهو في البيت يطوف

صورتي ليست جميلة

تسخر مني البنات

لبستُ البدلة الزرقاء

للتو كانت ترقص على الحبل

بانت في الصورة موشّحة

لِمَ لمْ تمسح عين الكاميرا

[47] تتنطط: أي تبرز.

أُلصقت بيَ التهمة

بأني لستُ جميلاً

وصورتي بانت سوأتها

قلبي هوى.. ثم هوى

ابتعدتُّ عن النساء

صورتي ليست جميلة

ستدخل النار

أو أن تتوب

فتمسح عين الكاميرا

جميلٌ أنا

ولتكن صورتي جميلة

صورني صوّر صوّر

قرّب الزوم وصوّر

طلعلي وجهي مزيون

بدّي يقلّولي منوِّر

اجلِسي حِذائي

أنا ابن هذا الزمان

لا أريد أن أضع الشمس بين يدي

لن أزيح القمر لتحطّين مكانه

لن أبني قصوراً في الهواء

بيتي على مدى العمر بدون أبواب

أنا الواقعي في قصائدي

لستُ رمزياً

لا أحب الرمادي

أنا لن أجعلك كل النساء

لأهوى كل النساء

أنا ابن هذا الزمان

سأكتب نبضي

لستُ معنياً باللهو بعواطف النساء

تعالي نتقاسم دخان الفرط

تعالي نجلس على مقعد هرمٍ في شارع الجامعة

كوب واحد من القهوة يكفي لذّتنا

أما أنت يا سيدي

لا تلمنا

إن كنت تغازل النجوم

فنحن من نراها في عزّ الظهر

نكتب الواقع

فقد قُصِمَ منا الظهر

سيدتي

اجلسي حذائي

تذكرتُ ..

غداً سأصلح حذائي

ليليق ببدلة العرس

لم أتذكر تاريخ شرائه

إني مشغول بالفرح ..!

اسمه فادي

سأمشي على رمشي

إلى قاعة السفير

السابعة مساءً بتوقيت فادي

فادي العريس

يجلس على كرسيه في قاعة هيل

والبتول بجانبه

كأسان من عصير مصفّى

حرام على الناس

حلال للعروسين

ترقص النسوة

في القاعة المجاورة

والدا العروسين يستقبلان الضيوف

أومأتُ للمسؤول بأن فرحتي ليست مثلهم

لستُ ككل الناس

أخرجتُ مسبحتي

وقفتُ وسط الساحة

بدأت أدندن

(أول ما نبدا بسورة تبارك

عرسك يا فادي يا ريته مبارك)

ارتفع الصوت

تعانقت الأيادي

لوّحتُ بمسبحتي

صرتُ أتلوّى طرباً

تذكرتُ صديقي بالأمس

جلسنا معاً

حدثني أبو فادي

عن الفرح .. عن الفراق

وهل ينام فادي بعيداً ..؟!

واغرورقت عيناه

آه..!! أيها الأب

كم أنت رقيقاً

دموع أبي فادي بالأمس

تجعلني أمارس طقوسي في الدبكة

سأطلب من أحدهم كان قد صورني

أن يبعث لي

لأرى صدق نفسي

وحبي لفادي وأبيه

هذا الإخلاص وقت الفرح

هو الإخلاص

الحلوى تضرني

سأعطي حصتي لطفل مرّ من هنا

الأطفال يحبون الحلوى

وأنا أحب فادي ..!

الأماكن

أرهقتنا الأماكن

كلما عثرنا على طاولة

نجدها على أمّيّتها

لم تغسل وجهها

لا تكترث بزينتها

لا تجيد لغة الهمس

فقد تمزّق الياسمين

واهترأ خدّ الدحنون

غادر المحبون

بقينا في العراء

الأصوات عالية

القلوب خالية

من يبحث معنا

عن زاوية تجيد الهمس

عن خبير باللمس

متعَبٌ أنا من أذنيّ

أذناي مرهفتان

ولساني رقيق

دلوني على زاوية

لا أسمع فيها قرع الطبول

وعوداً تبرّأ منه زرياب ..!

هل هذا أنا

في الدبكة ..

يخرج المرء عن طوره

يتلوّى من الفرح

ربما لفقره

يتسلّى بفقره

ربما ليعجِب امرأة

قد أخرجته عن طوره

يقولون:

إن كل شيء مباح

دُر حول نفسك

تلوّى .. كن بهلواناً

بعصاك اجعل من نفسك حصاناً

ثم عُد ونظّم مشيتك

وامسح خطيئتك

حتماً .. سيأتي الصباح

وتصحو بِعَرقك المجفّف

وتشهد على نفسك

هل هذا أنا ..!؟

وأخيراً ..

ها أنا ذا أقف في منتصف الحب أنادي مبتهجاً:

إني أحبك يا وطني

عزفتُ على أوتاره .. لتسمعوني .. لتشاركوني ..

تعالوا وشاركوني .. أتنفس عميقاً .. وأنادي لتسمعوا صوتي ..

يفرح الوطن بمحبيه .. يرشهم بعطره الثمين .. يعطي ولا ينتظر سوى المحبة ، والمحبة في قلوبنا نبض حياة، وحناجرُنا تغني، وسواعدُنا تبني

تعالوا، كلٌّ منّا يرسم وردةً فوطني سياجه الورود.

لنكتُب على سياجه الوردي قول الشاعر:

"وطني شبيه أبي

له ما ليس لغيره

فضلٌ علي .. أهزّنخل طيوبه ..

يتساقط الثمر الجني" ..

إنه عزفٌ وطني

المؤلف في سطور

" موسى النعواشي "

من مواليد بلدة أم قيس عام 1962 . درس في مدارسها المراحل الأساسية . درس الثانوية في مدرسة الأمير حسن الثانوية في إربد . درس الدبلوم في كلية حوارة سابقاً .

عمل معلماً في وزارة التربية والتعليم مدة أربع سنوات قبل الخدمة العسكرية. وانتقل للعمل معلماً في دولة الإمارات العربية المتحدة مدة اثنين وعشرين عاماً .

عمل مسؤولاً للإعلام التربوي في تربية لواء بني كنانة مدة خمسة عشر عاماً .

مهتم بالأدب والثقافة .

رئيس ملتقى جدارا "أم قيس" الثقافي لعدة دورات . معد ومقدم للبرامج الإذاعية . مقدم للمهرجانات والأمسيات والندوات . كاتب في الشأن الثقافي ومحرر ثقافي في وكالة كنانة نيوز . يكتب الأفلام والمسرحيات . يكتب الأغاني والأناشيد . يكتب في التوقيعات والقصة القصيرة جداً . يكتب القفشات والرباعيات . يكتب النصوص النثرية . مهتم بالشعر الشعبي ويكتب فيه . يعد لإصدار عدة كتب في هذه المجالات .

الإصدار الأول : شعراء من بني كنانة (أنطولوجيا) . وزارة الثقافة 2023

الإصدار الثاني : عزف جداري (نصوص نثرية) 2024

الفهرس

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
إهداء	5
بطاقة شكر	6
تقديم	7
مقدمة	8
إضاءة	10
جدارا " أم قيس"حكايات الحنين	16
هَمسٌ وعَزفٌ لقرى بني كنانة	20
بانوراما بني كنانة	25
وقُلتُ عن المرأة	29
جدارا وفلسفة الجمال	30
كنت أظنك امرأة زكية	33
قال الشرفاء هل تدري ..؟	36
تنوعوا .. تنوعوا	40
على طَرَف الحُب	42
قال البُسطاءُ هل تعلم	44
مَعَلشْ	48
في وداعِ حبيبٍ رحل	54
بِنطَال أخضر	60
مَحسَنَك	62
خَربَشاتٌ على اللَّمى	65

ما زلتُ ألثغُ بحَرفِ السين 69
خِنْصَر الخليل 72
وهَجَرتُ القُرَى 77
بسِتَّةِ دَراهِمَ مَعدودَة 84
الحِجَابُ 86
قالت: أنا امرأةٌ صالحةٌ 89
بائنَةٌ سوءاتُكُم 92
والله إنَّا شَعْبٌ نستَحي 94
طُفولةٌ بائِسةٌ 97
تَسَوُّل 104
من يجرّ المحراث 106
فُتِحَ المزاد 108
ستلقي بك من النافذة 112
لا نكتب للدجاج 115
لن تعود 118
أيها اللئيم 119
سيجيء الورد في موعده 121
قبل أربعين عاماً .. حج أبي 123
على جناح الطير 128
لستُ بطل الرواية 132
لستُ مريم 134
بدأ الضجيج 136

المدينة المقدسة 139
أيها المارُّ من هنا 142
شكّل نصّك 145
تيـــن 147
بدلة زرقاء 149
لا تقربوني 152
تعليلة 155
شمّة هَوَا 157
مساء الخير على الحبايب 159
أولويات 161
الصوت المبحوح 162
سبعة رجال وامرأة 164
جاهة شعرية 166
قل قصيدتك 168
ونزلتُ من السفينة 170
أمسية شعرية 173
رقم خاص Private Number 176
في القائمة حرف السين 179
لكم طريقكم ولنا طريق 181
أما أنا 183
صورتي ليست جميلة 185
اجلِسي حِذائي 187

اسمه فادي 189
الأماكن 192
هل هذا أنا 194
وأخيراً 196
المؤلف في سطور 197
الفهرس 199

==*=*

تم بعون الله وتوفيقه

كتاب

عزف جَباريٌ

مؤلفه : موسى محمد نحواشي

حين تكون بذور صهيلك على المنابر خصبة
سوف تحصد سنابلها عند السامعين ولاءً
وانتماءً لوطن أنت أحببته، حين تعزف
نبضاتك أغنية لوطن يسكنك سوف ترقص
معك الأشجار و تبدأ الأعشاب بالزغاريد،
حين تكون موسى النعواشي سيكون عزفك
سيمفونية وطنية يحلو لنا أن نشاركك
بالغناء.
العزف الوطني الذي بين يديك الآن هو نتاج
قصة حب بين موسى والوطن نوّتها لنا
كلمات صادقة لنقرأها معه، إنه يزاوج في
محبته للوطن بين المسرحية، والأوبريت
الغنائي، والفيلم الوثائقي والنص النثري
ليرسم لنا وطناً بحجم محبته له.
حسن ناجي

9 789923 010211

تصميم الغلاف:
الفنان التشكيلي محمد خالد